عبد الحميد المرنيسي

الحركة الوطنية المغربية

من خلال شخصية الأستاذ
علال الفاسي

إلى أيام الإستقلال



عبد الحميـــد المرنيســـي

الحركة الوطنية المغربية من خـلال شخصيـة عـــلال الفاســـي

الــى ايــام الاستقــلال

سلسلــة الجهاد الاكبر : رقم

الاهـــــــــداء

الى الذى يومن بأن الكــون فى تطــور دائم ، وأنه لا حياة بدون حركة . الى أسرتى ، الى زمــلائى فى العمــل ، فى الشارع ، فى المصنــع ، فى المتجــر الى مدينتى التى تعج بالناس الطيبين ، الى وطنـــى الحبيب الذى مات من أجلـــه خلق كثير ، ويحيى من اجله خلق أكثـــر ، الى كل من يومن بما ترمز اليـــه كلمة ((مغرب)) ويدافع عن حرمته ومقدساته ، الى كل المغاربة الاحرار .

المــؤلــف

تقديم

موضوع مهم ودقيق يتناوله هذا الكتاب بالبحث هو تاريخ الحركة الوطنية من خلال شخصية علال الفاسى

وأهمية الموضوع ودقته وضخامته تأتى من أنه يتناول فترة مهمة من تاريخ المغرب الحديث المتحرك هو تاريخ الحركة الوطنية ، ويتناول المؤلف الاستاذ عبد الحميد المرنيسى هذا الموضوع الضخم من أوسع أبوابه هو الباب الذى دخل منه علال الفاسى تاريخ المغرب الحديث وليس هناك مجال اصطبغ بنضال شخص كما اصطبغت الحركة الوطنية فى المغرب بنضال علال الفاسى . اذ ليس هناك مجال للنضال السياسى والوطنى والاجتماعى النضال فى سبيل الوطن وفى سبيل المواطنين ، النضال من أجل الفلاح والعامل والصانع والطالب ، من أجل المرأة والرجل ، من أجل الفكر والعمل النضال بالفعل والنضال بالقول خطابة وكتابة وشعرا ، ليس هناك مجال لنضال من هذا النوع لم يسعه علال ولم يبذل فيه كل ممكناته الفكرية والقلبية والانسانية .

لذلك فموضوع هذا الكتاب واسع سعة شخصية علال الفاسى . وقد تناول المؤلف هذه الشخصية من ميلادها حتى استقلال المغرب وعودة علال الفاسى الى

أرض الوطن . وهى حقبة مليئة بالنشاط والحركة ، سواء قبل المنفى او بعد العودة من المنفـى حيث ظل علال الفاسى تسع سنوات ، لم تستطع هى الاخرى أن تعزله عن العمل من أجل مصلحة بلاده فطالب بالاستقلال وهو اسير فى قرية مهجورة بالغابون .

اذا كان مجال الكتاب لا يتعدى اعلان الاستقلال فان أخصب مراحل الحركة الوطنية التى طبعها علال بنشاطه المتحرك هى العشر سنوات الاخيرة من حيـاة سنوات الاستعمار أى منذ عاد علال من المنفى فى صيف 1946 حتى مارس 1956 . لقد طبع الحركة الوطنيـة بطابع النضال فى الداخل والخارج وجعل اسم المغرب المناضل يقتحم كل أطراف الدنيا من باندونغ حتى نيويورك بل اقتحم قارتين من أهم قارات العالم : آسيا وأمريكا اللاتينية حيث تنقل علال فى كل ركن من أركانهما يبشر بقضية بلاده ، ويدعـو الشعوب والدول والحكومات الى التضامن مع المغرب لاسترجاع استقلاله .

وتتسم هذه المرحلة الخصبة التى أولاهـا المؤلف عناية كبيرة بتحويل الحركة الوطنية من نضال سامى الى عمل مسلـح . وابتدأ هذا الدور الفعال من نداء القاهرة الذى كان بمثابة الضوء الاخضر المنظمات الفدائية داخل صفوف حزب الاستقلال لتبدأ العمل . ولم يكتف بتصعيد الحركة الفدائية فى المدن ، بل طور العمل الى النضال فى الجبال وذلك بانشـاء جيش التحرير والعمـل على تمويله وتسليحه . وفى نفس الوقت كان ينظم مع الاحرار

الجزائريين الثورة الجزائرية حتى تعم الثورة سائر انحاء المغــرب العــربى ·

من أهم الفصول التى تستلفت نظر القارىء فى هذا الكتاب الباب الثالث الذى خصصه المؤلف لاستعراض بعض أفكـــار علال الفاسى فى الدين والسلفية والحرية والتعليم والاصلاح الاجتماعى ، وقد حاول المؤلف أن يعود بكثير من نظريات علال الفاسى الى آرائـــه فى الحرية معتمدا على كتبه ومحاضراته العديدة · الكتـــاب الذى يضعه المؤلف بين أدينا محاولة جادة لدراسة فترة مهمة من تاريخ المغرب من خلال شخصية طبعت هذا التاريخ · واذا كانت شخصية علال أوسع من أن يحتويها كتاب وضع لفترة محددة فان عذر المؤلف فى ذلك أنه يحاول دراسة تاريخ الوطنية من خلال شخصية علال · ولذلك فهناك جوانب عديدة لم تت حله الفرصة للتعمق فيهـــا تنفيذا للخطة التى رسمها لكتابه ·

ولا يسعنى الا أن أحيـــى الجهـــود التى بذلهـــا الاستاذ المرنيسى راجيا له التوفيق والاستمرار فى بحث الموضوعات التاريخية التى تتصل بالحركة الوطنية ·

عبد الكـــريم غـــلاب

25 يونيو 1975

تصدير

ان كتابة انسان عن شخصية من وطنه والتعريف به وبأعماله الجليلة هو واجب وطنى مقدس · خصوصا اذا كانت هذه الشخصية ذات وزن هام فى البلاد ، فأن الموضوع يصبح شيقا بدرجة أكثر ، وهذا ما دفعنى الى خوض غمار البحث فى هذا الموضوع الذى يتعلق بشخصية الاستاذ علال الفاسى ، لانه يعتبر أبا لاستقلال المغرب ورائدا للنهضة المغربية فى العقود الاخيرة من تاريخ هذا البلد ·

وقد قسمته الى مقدمة وثلاثة ابواب تتضمن كل واحدة منها عدة فصول ثم خاتمة ، وقد نهجت فى هذا التقسيم تتبع مراحل الكفاح حسب تسلسلها الزمنى الذى كانت تفرضه الظروف المسيطرة آنذاك ، كما عملت أكثر ما يمكن على عدم الانغمار فى الجزئيات البسيطة خصوصا وان الموضوع له اتصال وثيق بالحركة الوطنية المغربية عامة ، أو هو جزء منها ، ولا يخفى على أحد ما تحتاجه دراسة هذه الحركة وتوضيح جوانبها من مجهودات كثيرة ، فلهذا اقتصرت على ما يتعلق بشخصية الاستاذ علال المعنى بالبحث أو التى لها علاقة أو صلة بأعماله أو أفكاره حتى تتوضح فى ذهن القارىء الرؤيا الشفافة لجوانب الاحداث وماجرياتها وتسلسلها ، كما أننى وضعت لبحثى هذا اطارا زمنيا يبتدىء بمولد الاستاذ الجليل

علال الفاسى ، وينتهى بحصول المغرب على استقلاله وعودة الاستاذ علال الى أرض الوطن نهائيـــا ٠

وأخيرا فانى أرجو مـ نالقارىء الكريم المعذرة ان كان هناك خطأ أو تقصير ، والفضل كل الفضل يرجع الى السادة أعضاء الحركة الوطنية الذين أمدونى بكل ما احتجته من وثائق ومعلومات عن الحركة الوطنية المغربية ولم يبخلوا على بفترات طويلة من أوقاتهم الثمينة حتى استطعت أن ألم بعناصر الموضوع الذى حاولت فيه جهد المستطاع محاداة الدقة والصواب واثبات الحقائق التاريخية المجردة عن كل نزعة أو تحزب الا النزعـــة العلميـــة المحضة ٠ فلهؤلاء السادة جميعا أقدم شكرى الجـــزيل وكذلك لجميع الذين ساعدونى على اخراج هذا المولود الصغير الى حيز الوجود وبالله التوفيق ٠

فاس : 24 أبريل 1972

التمهيـــــد

1) نظرة تاريخية عامة على المغرب أثناء عقـــد الحمايـــة :

تنطلق حركة التحرير فى المغرب، على مر العصور من أمرين رئيسيين هما :

1 ــ مقاومة الاجنبى وتتجلى فى ثلاثة مراحل :

أ ــ المقاومة الدبلوماسية ·
ب ــ المقاومة العسكرية
ج ــ المقاومة السياسية ·

2 ــ العمل على ترميم حالة الشعب واصلاحه ويتجلى فى :

أ ــ العمل على تنظيم الدولة وتنظيم الشعب ·

ب ــ احداث تجاوب معنوى بين الحاكم والمحكوم على أساس مثل أعلى هو التضامن بين أفراد الامة لحمايتها واسعادها ·

وكلا الامرين يسيران جنبا الى جنب فى تناسق تلقائى ليس للزعماء الا فضل واحد هو اعطاؤه الصبغة الفنية التى تجعله بارز الصورة بين الدلالة ·

هذا ما حدث للدولة المغربية فى الفترة التى سبقت سنة 1912 حين تكالبت قوى الدول الاستعمارية الكبرى للعمل على السيطرة على هذه البلاد الآمنة سواء من الشرق ، عن طريق الجزائر التى كانت خاضعة للدولة العثمانية ، أو من الشمال عن طريق سبتة ومليلية ، أو من الجنوب عن طريق آسفى والصويرة ، واخذت توجه حملات عسكرية ضد هذه المناطــق اتسمت بالخطورة والقوة واشتملت على جنود وعتاد كبيرين الى أن دخلت البلاد فترة الحماية يوم 30 مارس 1912 عندما تم التوقيع عليها من طرف السلطان مولاى عبد الحفيظ الذى نصبه الشعب لما توسم فيه من حصافة عقل وقوة شكيمة تؤهله للقيام بصد الاجنبى المعتدى عن البلاد ، ولكن ضغط الدول الاجنبية كان قد بلغ مداه كما أن حالة الضعف التى كانت تعم الدولة ساعدت على تركيز هذا الضغط . وهكذا أصبحت البلاد بموجب هذه الحماية تحت اشراف كل من فرنسا واسبانيا على اختلاف فى المنطقة الجغرافية . حيث استولت فرنسا على المنطقة الشرقية والوسطى والجنوبية ، واكتفت اسبانيا بالمنطقة الشمالية .

وكان المغرب اذ ذاك ينقسم من الناحية التنظيمية للدولة الى قسمين رئيسيين :

1 ــ بلد المخزن : وهى المناطق التى كانت تخضع للحكم المركزى الشريفى ، وتشمل على وجه التقــريب السهول الشرقية حول وجدة والمناطق المحيطة بفاس وتازة ومعظم السهول الواقعة على ساحل المحيط الاطلسى من

طنجة الى جبال الاطلس الكبير وكانت تشمل قبائل زمور وزعير وزيان ، هاته القبائل التى كانت لها علاقة حسنة مع الاسرة المالكـــة .

2 ــ بلد السيبة (الثورة) : وهى المناطق التى كان يحكمها قواد محليون يخضعون اسميا لسلطة الملك الشرعى وكانت تقع بينهم خلافات كثيرة استغلها المستعمرون فى توطيد أقدامهم داخل البلاد حتى أننا نجد كثيرا من هؤلاء القواد قد تواطؤوا مع الحكم الاستعمارى ضد الاسرة الشريفة الحاكمة .

وهكذا فان توقيع الحماية زاد من غضب السكان واستيائهم وزاد فى ضراوة المعارك التحريرية التى كانت تخوضها القبائل البربرية فى جبال الريف والاطلس المتوسط وتافيلالت وغيرها من المناطق ضد غارات الدول الاجنبية التى بدأت قبل اعلان الحماية بسنوات كثيرة ، كما ألهب هذا التوقيع حماس الشعب القاطن بالمدن للمقاومة المسلحة ضد المستعمر الغاشم ، فلم يتم للمستعمر أخضاع البلاد نهائيا الا عند حدود سنة 1934 حين صفيت مقاومة البربر فى جنوب تافيلالت ، وحين احتل الفرنسيون وادى سوس بالقرب من اكادير وأطراف الصحراء الكبرى خلف جبال الاطلس الصغير ، وبعد تضحيات جسيمة دفـــع فيهـــا المستعمر ثمنا غاليا من الارواح والعتاد واستعـــان فيها بأقوى رجاله وأكثرهم حنكة ودراية بشؤون الحرب وعلى رأسهم المريشال ليوطى الذى استقدمته السلطات الفرنسية بعد أن كان يحارب ضمن الفيلق العاشر ببروتانيا وعينته

مقيما عاما وقائـــدا أعلى لجيش الاحتـــلال الفرنسى فى المغـــرب كلـــه ٠

هذه الثورات وهذه المقاومة لم تكن موجهة ضد المستعمر فقط ولكنها وجهت أيضا نحو السلطان مولاى عبد الحفيظ الذى اعتبر الشعب انه خان الامانة التى ألقيت على عاتقه وفسح المجال لدول أجنبية لتتولى شؤون الاشراف على الوطـــن ٠

وبعد سنة 1934 وبعد سقوط آخر معقل للمقاومة فى يد المستعمر اتجهت هذه الاخيرة اتجاها آخر ، فأخذ رجالها يعملون على اعداد معنوية الشعب وتهيئه لخوض الكفاح بصورة جديدة غير الصورة التى اعتادها يوم كان لكل فرد بندقية يدافع بها عن قبيلته وعن وطنه ، وظهرت حركات تعمل لنشر دعاية المحاربين ومساعدتهم ، وكذلك تعمل على مقاطعة كل ما هو أجنبى من ملابس وسجائر وغيرها من المنتوجات ٠

والى جانب هذا قامت حركة اصلاح دينى وثقافى كان لها أثر مباشر فى تكوين جيل واع بمسؤوليته الوطنية حيث كانت تعقد عدة حلقـــات دراسية فى أهم المساجد أخذت طابع الدروس فى الظاهر ولكنها كانت تعمل على نشر الحركة الوطنية وتوجيه الناس وتوعيتهم فى الباطن ، وكان لهذه الحركة الاصلاحية أثر مباشر فى تأسيس جماعة (كتلة العمل الوطنى) التى كانت بداية الخط السياسى الذى سار عليه الوطنيون للحصول على استقلال البلاد وتحريرها من يد الاستعمار ٠

2) نشأة الحركة الوطنيـــة :

ظهرت أول ارهاصات الحركة الوطنيـــة بعد عقد معاهدة فاس سنة 1912 التى وضعت البلاد تحت اشراف فرنسا واسبانيـــا ، وقد بدأت هذه الحركـــة بتأسيس جماعتين صغيرتين من الشباب أخذوا على عاتقهم منذ بداية نشاطهم العمل على اعادة الاستقلال البلاد ، ولكن عملهم ظل فى الخفاء الى غاية سنة 1932 ، كما أنه كان يسير سيرا بطيئا فى هذه المرحلة تبعا للظروف القائمـــة بالمغرب قبل الحرب العالمية الثانية .

وقد تكونت احدى هاتين الجمعيتين فى مدينة الرباط وكان الناطق الرسمى باسمها هو السيد أحمد بلافريج ؛ أما الجمعية الثانية فقد نشأت فى فاس ، وكان الناطق الرسمى باسمها هو الاستاذ علال الفاسى ، وكان عمر هذين الشخصين لا يتجاوز اذ ذاك الثامنة عشرة سنة ؛ وعلى الرغم من أن أهداف الجماعتين اختلفت فى منبعهما ، فانهما اتفقتا فى غايتهما ، وهى تكوين دولة مغربية جديدة تساير التطور الحضارى الجديد الذى يسود العالم أجمع .

وقد ساعد على تبوء هاتين الجماعتين المركز اللائق بهما فى الحركة الوطنية عوامل كثيرة نجملها فى ما ياتى :

1 ـــ أن ضم منطقة «السيبة» الى منطقة «المخزن» وتوحيد المغرب من طرف الفرنسيين بعد أن كان ذلـــك مستحيلا من قبل أثبت للوطنيين الاحداث سهولة تكتيل

قوة الشعب كله ضد المستعمر ، ورسم لهم مجالا محددا من التنظيـــم .

2 ـ ان الادارة الفرنسية بعد فرض الحماية هيأت أسبابا للتذمر والانتقاد من طرف الشعب بسبب حملاتها العسكرية المتكررة ومعاملتها الصلبة للمغاربة ولكل من يمت للعروبة والوطنية والاسلام بصلة ، وهذه أمور أمكن للوطنيين استغلالها من أجل بناء حركتهم .

3 ـ الثورة الريفية بقيادة عبد الكريم الخطابى وما وصلت اليه من تقدم فى مقاومة الاستعمار وما أثبتته من قوة الشعب المغربى وصموده فى وجه الاستعمار ساعد على تكوين فكرة طيبة عن أمكان المقاومة من طرف رجال المغرب الاشـــداء .

4 ـ ان المغرب كغيره من البلدان العربية شهد انتشار آراء مختلفة تنادى بالاصلاح فعندما اجتمعت أول جماعة بالرباط ، أنصتت الى الحاج محمد بنونة وهو يلقى خطب سعد زغلول عن ظهر قلب ، بالاضافة الى الاصداء التى كانت تصل من تونس الشقيقة عن المجهودات التى كانت تبذلها جماعة «الدستور» هناك بزعامة السيد عبد العزيز الثعالبى والافكار التى كان ينادى بها والاصلاحات التى كان يتوخاها .

يضاف الى ذلك الحركة السلفية التى ظهـــرت فى المغرب تطالب بالرجوع الى الدين الصحيح وتعاليمـــه ومحاربة المشعوذين واهل الطرق واتهامهم بالتواطؤ مع

المستعمر ، وكان من أكبر الدعاة لهذه الحركة السيد محمد بن العربى العلوى الذى كان يجمع حوله ثلة من الشباب الوطنى فى فاس يبث فيهم أفكاره وينشر فيهم دعوته ، وكذلك الشيخ ابو شعيب الدكالى الذى انتقلت مبادئه الى جماعة الوطنيين الصغيرة فى الرباط عن طريق السيد محمد اليزيدى .

هذه أهم العوامل التى ساعدت على رسم الخطوط الاولى فى طريق الوطنية ، وفى العمل على ارجاع الاستقلال للبلاد . ويمكننا القول بأن هذه الحركات المبكرة اتخذت طابع الاصلاح الدينى عامة ، سائرة على خطى محمد عبده الفلسفية ، ومبادىء السلفية التى كانت تحث الشعب على العلم والدعوة الى الاصلاح الشامل ومقاومة الجمود فى سائر فروع الحياة . أما المضامين السياسية لهذه الحركة فهى غير واضحة المعالم ، ولكن قوة الاستنكار والانتقاد والضغط ألقت بفتيان الاصلاح الى معترك السياسة اذ كانوا يسعون الى ايجاد سلطة تمكنهم من تطبيق القيم التى ينادون بها . ويرمون الى حيازة القوة التى تمكنهم من مواجهة تشجيع المستعمرين لطوائف الالحاد وطرق المارقين . ولكن هذا الاهتمام بالاصلاح الدينى كان يقل كلما ازداد تطور الحركة الوطنية ونموها . وهكذا وبعد صدور الظهير البربرى تطورت نظرة تلك الجماعات التى أسست فى فاس والرباط وتطوان فأخذت تتناول الشؤون بأسلوب غير الاسلوب الاول الذى يعتمد الاصلاح الدينى فقط ، فأخذت تعمل على تنوير الرأى العالم والمطالبة باصلاح التعليم الجامعى وخصوصا فى جامعة القرويين

واصلاح حالة الطلبة وتنظيم رحلات وتبادل زيارات وتأسيس مجلات حيث أسست جماعة فاس برئاسة الاستاذ علال ألفاسى مجلة شهرية سرية تحت اسم « أم البنين » كانت توزع سريا على بقية الجماعات فى المدن الاخرى ، كما قامت تحركات مفيدة من طرف بعض الطلاب الذين ذهبوا لاتمام دراستهم فى الخارج سواء فى فرنسا حيث أسسوا « جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا » و « جمعية الثقافة العربية » أو فى القاهرة حيث شاركوا فى تأسيس « جمعية الشبان المسلمين » و « جمعية الهداية الاسلامية » كما قامت هذه الجماعات الوطنية الاولى بفتح المدارس فى مراكز مختلفة كانت بمثابة النواة التى ألتفت حولها فئات محلية عاملة ، وان كانت السلطة الاستعمارية غالبا ما تعمل على اقفالها واعتقال أصحابها فتنشأ عن ذلك عرائض واحتجاجات .

كل هذا وغيره يسير بهذه الجماعات الى العمل السياسى المنتظم ، والى تأسيس حزب سياسى منظم هو « كتلة العمل الوطنى » الذى أخذ على عاتقه منذ البداية العمل على اصلاح حالة البلاد والخروج بها من مرحلة التخلف الفكرىو الحضارى الى مرحلة التقدم الى أن جاء يوم 16 ماى 1930 الذى هو يوم اعلان الظهير البربرى الذى كان نقطة بداية للعمل الوطنى ضمن اطار الحركة الوطنية الجديدة المنظمة .

البـــــاب الاول

الخطوط الكبرى في حياة الاستـاذ عـلال الفاســــي

في هذا الجو المشحون الذى كان يسيطر على بلاد المغرب ، وفى هذه الفترة الحالكة التى كان يعيشها هذا البلد حيث تكالبت عليه قو ىالاستعمار من كل جهة طمعا فى خيراته الكثيرة ، وكل دولة من الدول الاوربية الكبرى تحاول ان تحصل على أكبر قدر ممكن من الغنائم ، خصوصا وان كل أقطار العالم العربى كانت تعيش اذ ذاك مرحلة تأخر كبرى وجلها مستعمر من طرف دول أوربية ساعدها تقدمها الحضارى والثقافى والتقنى على التفوق فى جميع الميادين .

وفى الفترة التى بدات فيها الارهاصات الاولى لنشوء حركة وطنية تعمل على اعادة استقلال البلاد وارجاعها الى المكانة السامية والمنزلة اللائقة التى كانت تحتلها على مر العصـــور .

فى هذا الخليط من الاحداث الجسام التى مرت بها الدولة المغربية ولد الاستاذ علال الفاسى ، وكان ميلاده فى يناير 1910 بمدينة فاس العاصمة العلمية للمغرب من أب عالم سلفى هو المرحوم عبد الواحد الفاسى . وقد حباه الله منذ نعومة أظفاره بمميزات كثيرة منها وفرة الموهبة وحدة الذكاء والنبوغ ، تلقى تعليمه الاول بأحد الكتاتيب القرآنية جريا على عادة الاسر فى تدريس أبنائها آنذاك . وكانت اسرته من الاسر الشريفة الحاملة للواء العلم والمعرفة منذ أقدم العهود . يقول جاك بيرك عن الاسرة الفاسية : « ان الفاسيين يعدون من سلالة الفاتح العربى عقبة بن نافع ، وبعد كثير من التحولات والتغيرات المختلفة سواء فى الاندلس أو فى شمال المغرب ، أقاموا بشكل رئيسى فى فاس حيث

مارس احدهم وهو الشيخ أبو المحاسن الذى توفى سنة 1604 م. كعالم وصوفى نفوذا بعيدا ذا شأن . ومنذ ذلك الحين ظلت هذه العائلة تشغل أعلى مناصب الاستاذية فى المدينة . ولم يكن من باب الصدف أن يجد الجيل الجديد للبورجوازية الفاسية فى سليل هذه العائلة رمزا لمناهضة الحماية والجيل المغربى السابق والاحوال المتدهورة للمسلمين ، كما راى فيه رجل العمل ايضا فى هذه الواجبات الثلاث » (1) .

وبعد انتهاء مرحلة الكتاب التحدق الطفل علال باحدى المدارس الابتدائية وهى مدرسة القلذليين الحرة التى أنشأها زعماء الحركة الوطنية ومن لهم غيرة على اللغة العربية وانتشارها ، وقد استطاع أن ينظم الشعر وهو فى العقد الثانى من عمره ، وبعد ذلك انتقل الى جامعة القرويين حيث أتم تعليمه الثانوى والعالى ، وقد كانت هى المنبع الذى استقى منه أغلب زعماء الحركة الوطنية التى ساهمت فى استقلال البلاد ، ونال اجازة العالمية منها سنة 1930 وعمره لا يتعدى العشرين سنة ، ولكن سلطات الاستعمار منعتها عنه لمعتقداته السياسية والوطنية ولافكاره التحررية ولم يحصل عليها الا بعد فترة طويلة وقد عمل على تأسيس

---

(1) مقدمة جاك بيرك لكتاب آتيليو كاوديو ــ علال الفاسى او تاريخ الاستقلال ــ ص : 7 .

كثير من المدارس الحرة مساهما فى هذا المشروع مع بقية أعضاء الحركة الوطنية وتطوع بالتعليم فى احداها وهى المدرسة الناصرية ·

وكان الاستاذ علال الفاسى شابا نحيفا خفيف اللحية والعارضين ذو عينين زرقاوتين يتقدان ذكاء وعزيمة ، وينبئان عن قوة هائلة لا تتلاءم تماما مع جسمه النحيل ، وكان اذا حدثك ركزهما فى عينيك لشدة ايمانه بما يوجه اليك من حديث ، ومن أهم صفاته انه مسلم مومن بالله وبأن تطور المغرب يجب أن يكون فى نطاق الاسلام ومميزات المغرب المسلم الحضارية الخاصة من لغة وثقافة ورسالة تاريخية ، كما أنه يقدر حق التقدير الواجب الملقى على عاتقه ويقوم بأدائه على أكمل وجه ، ومن هذا المنطلق أخذ يدعو وهو لازال طالبا فى جامعة القرويين وسط زملائه الطلبة الى الحركة السلفية ونبذ الشعوذة والوثنية ورجال الطرق والزوايا مما تلقاه عن شيوخه أمثال محمد بن العربى العلوى والشيخ أبى شعيب الدكالى · وينادى بالعمل على تنظيم هذه الجامعة العتيدة وتجديد أساليب الدراسة بها ، ومقاومة كثير من العادات المتبعة فى مدينته ، فكان يكتل الطلبة وينظمهم من أجل هذه الغاية ، وحتى بعد تجرجه ظل هدفه الاسمى هو بث الروح الوطنية · حيث كان يقوم بالقاء دروسه فى التاريخ الاسلامى فى حلقات بجامع القرويين وضريح سيدى عبد القادر الفاسى كانت تضم جميع طبقات الشعب من تجار وفلاحين وصناع زيادة على الطلبة المنتظمين الذين عمل على تكوينهم تكوينا وطنيا

أستطاعوا بواسطته أن يواكبوا حركة النضال التحررى للبــلاد .

واذا تطرقنا الى أهم الاحداث التى واكبت فتــرة طفولته وبداية عهد شبابه ، فاننــا نجد انه بعد ميلاده بسنتين أى سنة 1912 فرضت الحمايــة على الوطن فرضا ، وبعدها فى سنة 1914 شب اوار الحرب العالمية الاولى وعم وبالها أطراف المعمور واستأثرت باهتمــام الجيمع وبما ستسفر عنه من عواقب وخيمة وما كادت تنتهى فى أواخر 1918 حتى هب المغاربة يعــدون العدة للكفاح من أجل استرجاع السيادة والاستقلال ، فقامت حركة تمهيدية للمقاومة عنيت بفتح المدارس الحرة لتعليم الشباب واعداده لخوض المعركة ، أما المقاومة الثورية المسلحة فقد كانت على أشدها فى القبائل البربرية وكانت الحرب الريفية على الابواب بزعامة البطل عبد الكــريم الخطابى ، ولكن الفرنسيين استطاعوا القضاء عليها سنة 1925 ، ثم اخذوا يتقدمون نحو الجنوب بعد احتلال جبل صاغرو معقل ثوار الاطلس الذين قاومــوا ببسالة ولم يستسلموا الا بعد عشر سنوات كاملــة من المقاومــة والاستشهاد فى سبيل الوطن .

هذه أهم الاحداث التى عاصرت المرحلة الاولى من حياة الاستاذ علال الفاسى وكونت نظرته الى الحياة وفتقت ذهنه وعبقريته وحبه لوطنه ، وجعلته يهب نفسه وكل طاقاته وقدراته فى سبيل تحرير وطنه وشعبه من ربقة الاستعمار والتخلف .

وهكذا نجد أن الاستاذ علال الفاسى ولد على موعد مع هذه الاحداث الجسام التى أصابت وطنه المغرب وأصابت العالم العربى والعالم أجمع وكانت السبب المباشر فى تكوين الفكر الوطنى والسياسى لديه ، وكانت السبب فى تغلب روح التضحية ونكران الذات على نفسيته الشىء الذى جعله يندفع راضيا لتحمل المصائب والشدائد من أجل تحرير وطنه من أيدى المستعمر منذ السنوات الاولى من حياته .

الباب الثاني

مراحل الكفاح ضد الاستعمار

عندما نريد أن نحدد مراحل الكفاح التى خاضها أو شارك فيها الاستاذ علال الفاسى ضد الاستعمار ، نجد أنها تختلف باختلاف مراحل الكفاح الوطني عموما . كما أنها تتبع لفترات زمنية معينة تبعا للظروف السياسية والاجتماعية والحربية التي كانت تعيشها البلاد آنذاك ، وتبعا للتغيرات التى تطرأ على الحركة الوطنية ومدى قوتها أو ضعفها ، وهذه الفترات هى عبارة عن :

1 — فترة الارهاصات الاولى لنشوء الحركة الوطنية والدينية وتطورها ، وتشمل السنوات الاولى من حياته الى غاية صدور الظهير البربرى سنة 1930 .

2 — فترة الكفاح ضمن اطار جماعات منظمة ، وتمتد من سنة 1930 الى سنة 1937 وهى السنة التى نفى فيها الى الغابون ، وتدخل ضمنها مراحل صغيرة هى :

أ — مرحلة ما قبل تأسيس كتلة العمل الوطنى .

ب — مرحلة الكفاح ضمن كتلة العمل الوطنى .

ج — مرحلة الكفاح ضمن الحزب الوطنى لتحقيق المطالب .

3 — فترة النفى الى الغابون التى تمتد من سنة 1937 الى سنة 1946 .

4 ـــ فترة الرجوع من المنفى ومتابعة الكفاح .

5 ـــ فترة الهجرة الى المشرق العربى وتبدا من سنة 1946 الى سنة 1957 حيث رجع الاستاذ علال الفاسى الى المغرب بعد حصوله على الاستقلال . وتدخل ضمنها مراحل هى :

أ ـــ المرحلة الاولى من اقامته فى القاهرة .

ب ـــ مرحلة الاقامة بطنجة .

ج ـــ المرحلة الثانية من اقامته بالقاهرة .

الفصـــــل الاول

فترة الارهاصات الاولى لنشوء الحركة الوطنية

عندما تعرضنا للخطوط الكبرى فى حياة الاستاذ علال الفاسى ، تبين لنا أن هذا الانسان وهب نفسه ومواهبه وكل طاقاته فى سبيل الدفاع عن مقدسات الوطن وفى سبيل تحريره من أيدى الخونة والمستعمرين منذ بداية السنين الاولى من حياتـــه ، سواء أثناء فترة دراسته فى جامعة القرويين حين أخذ يكتل الطلبة ويجمعهم ويعمل على تغيير الاوضاع الفاسدة فى هذه الجامعة العتيقة ، ونشأ عن ذلك تأسيس أول جمعية وطنية سريـــة سنة 1925 انتخب الاستاذ علال الفاسى لرئاستها رغم صغر سنه وكانت تضم خيرة طلاب القرويين ، وقد عملت منذ البداية على مقاطعة كل ما هو أجنبى من بضائع وشاى ودخان وملابس وغيرها وخصوصا منها الفرنسية . فكان الاستاذ علال أول المقاطعين وصار يلبس الملابس المغربية التقليدية . أو حين أخذ يؤسس المدارس لنشر العلم والوعى ، ويدافع عن الفلاح ويؤسس الجمعيات الثقافية والرياضية . أو حين تزعم حركة الدفاع عن ماء فاس سنة 1926 ومقاومـــة العمل الاستعمارى ضد أراضى الناحية . وتبعـــا لذلك وبعد تخرجه من جامعة القرويين حين قام بالقاء الدروس فى هذا الجامع وفى ضريح سيدى عبد القادر الفاسى ، وعمل على زرع روح الوطنية بين طبقات الشعب المختلفة من خلال هذه الدروس . أو فى متابعته لثورة عبد الكريم الخطابى فى الريف وعطفه عليها وتعلقه بها ومساندته لها ماديـــا ومعنويا .

ولكن أهم منطلق انطلق منه الاستاذ علال فى اذكاء الروح الوطنية لدى السكان لمقاومة المستعمر ورده عن

اراضى الوطن هو دعوته الى الحركة السلفية والرجوع الى الدين الاسلامى الصحيح · ولكى نعرف مدى فعالية هذا العامل فى تكتيل قوى الشعب واجتماعه على كلمة واحدة ، يجب أن نلقى نظرة ولو بسيطة على هذه الحركة وعلى منابعها وأسباب انتشارها ، ودعاتهـا ورجالها ، وكيف تحولت الى حركة وطنيـة سياسية تهدف الى تخليص البلاد من ربقة الاستعمار البغيض ، وتسعى الى صهر جميع الرغبـات والمصالح الشخصية فى رغبـة واحدة ومصلحة واحدة عليا هى الدفاع عن الوطن وعن حوزته وترابـه ·

الحركـة السلفيـة :

ظهرت السلفية فى أول عهدها كحركة بسيطة تهدف الى الرد على أصحاب الطرق والمشعوذين عملاء الاستعمار وأذنابه الذين كان يستغلهم لتخدير عقول الشعب وشغلها بالخزعبلات ليستطيع التوصل الى جميع المصالح التى كان يهدف أليها ، ويبدو أن بساطة هذه الدعوة ووضوح طابعها يتفق الى حد كبير مع سذاجة الصوفية المغربية وتعلق المغاربة عامة بالدين الاسلامى الصحيح وتعاليمه ، وتطلعهم الى التعرف على دقائق الاشياء والتأكد منها ·

وأول شخصية برزت فى هذا الميدان هى شخصية المصلح الشيخ أبى شعيب الدكالى الذى كان يتلقى العلم فى الشرق ورجع الى المغرب وكله رغبة فى الدعوة لهذه العقيدة والعمل على نشرها مما جعل الشباب فى مدينة الرباط

يلتفون حوله ويساعدونه فى دعوته ويقاومون أصحاب البدع والمعتقدات الفاسدة ·

ولكن أهم مرحلة بلغتها الحركة السلفية هى عندما اصبح العلامة المصلح السيد محمد بن العربى العلوى من دعاتها ومساهما فى انتشارها ، فقد كان لهذا الرجل من الجرأة والاقدام والثبات ما جعله يلاقى فى دعوته نجــاحا عظيما واقبالا كبيرا وخصوصا من طرف شباب مدينة فاس التى كان يقطنها · فتظافرت الجهود بين جماعتى فاس والرباط للدعوة لهذه الحركة والعمل على مقاومة المشعوذين سواء عن طريق المحاضرات أو عن طريق المقالات التى كانوا ينشرونها فى صحف الجزائر وتونس · ولكن المستعمر أحس بأن هذه الحركة موجهة ضد عملائه أصحاب الطرق فتخوف منها وأخذ يعتقــل المنتمين لها ويستنطقهم ، وفى الاخير القى القبض على أحد رجالها وهو الاستاذ محمد غازى ·

وعندما نصل الى هذه الفترة نجد أن بوادر الحركة الوطنية السياسية بدأت تظهر وتنبع ضمن اطار الحركة السلفية الدينية مما كان له أثر كبير وفعال فى تطوير العقلية الشعبية بالمغرب · ومما زاد فى فعالية هذه الحركة العناية والرعاية الكبيرة التى كان يوليها الملوك العلويون لها والعطف الذى أبدوه عليها وعلى رجالها مما جعلها تسير بخطى واسعة فى الطريق الذى رسمه لها أصحابها وخصوصا بعد الحرب العالمية الاولى حيث خططت هذه الحركة برنامجا سياسيا كان له أثر كبير فى تسيير الآلة الموجهة للحركة الوطنية فى المغرب ·

هذه نظرة وجيزة عن الحركة السلفية فى المغرب وتطورها ، ولكن لنا أن نتساءل عن الدور الذى لعبه الاستاذ علال الفاسى فى هذه الحركة · سوف نعثر على الجواب اذا تتبعنا سير الاحداث ، حيث نجد أنه قام بمجهود عظيم لنشر هذه الحركة ، والدعوة لها بواسطة الخطب والمقالات ، وعن طريق حلقات الدروس التى كان يعقدها فى جامع القرويين ، لانه اعتبر أن هذه الحركة نقطة أساسية ، بل هى نقطة الانطلاق نحو التحرر من العبودية والاستعمار ، وقد ظلت هذه الحركة فى تقدم ونجاح الى أن أدت فى النهاية الى انشاء اول حزب وطنى سياسى هو حزب « كتلة العمل الوطنى » الذى أسس سنة 1932 ·

هذه بعض أعمال الاستاذ علال الفاسى خلال الفترة الاولى من حياته التى واكبت المراحل الاولى من الحركة الوطنية المغربية وتطورها ، وهى بالنظر الى ما قام به بعد هذه الفترة تعتبر أعمالا بسيطة ولكنها جليلة فى نفس الوقت بالنسبة لسنه ونضوجه الفكرى ، وكذلك بالنسبة للارهاصات الاولى للوطنية والمقاومة التى كانت تظهر فى السنوات الاولى من الكفاح قبل صدور الظهير البربرى سنة 1930 والذى يعتبر بحق نقطة التحول لهذه الحركة التى كان همها الوحيد قبل هذه الفترة هو الوقوف فى وجه الاستعمار عن طريق الدعوة للسلفية الدينية ومحاربة الفهم الخاطىء الدين ، وكذلك الوقوف فى وجه الاستعمار الفلاحى الذى فرضه المقيم الفرنسى العام «ستيف» بين سنوات 1927 و 1930 حيث أصبح الكفاح متجها الى حماية الفلاح

المغربى من عبث الاستعمار ، والى مقاومة الخونة من القواد والقضاة وبعض الرؤساء الذن نصبــوا أنفسهم سماسرة لتمليك اسيادهم المعمرين أخصب اراضى الدولة والمواطنين .

وهكذا ستتبلور أسس هذه الحركة بعد سنة 1930 حيث تدخل فى المرحلة الحاسمة من أجل النضال ومقاومة الاستعمار وتصبح ذات شقين هما :

1 ــ شق نظرى : ويتمثل فى العروبة والمغربية والاسلام السلفى المتجدد المنافى للجحود ، والذى من أهم مبادئه الدعوة الى تنظيم الحكم على أساس الشورى ، وضمان العدل والعدالة الاجتماعية لجميع المواطنين .

2 ــ شق عملى : ويتمثل فى تنظيــم الكفــاح ضد المستعمر ومجاهرته بالمقاومة هو ومن يتعاون معه ويخدم مصالحــه ، وتقبل كل تضحية فى هذا السبيل .

الفصل الثاني

فترة الكفاح ضمن جماعات منظمة

وتبدا هذه الفترة يوم 16 ماى 1930 وهو تاريخ اعلان الظهير البربرى فى المغـــرب من طرف السـاطـــات الاستعمارية الفرنسية ، والذى كان القصد منه العمل على تقويض دعائم الدين الاسلامى واللغة العربية فى المغرب لانهما كانا يمثلان الدعامتان الهامتان اللتان يجتمع حولهما كل المغاربة على اختلاف اجناسهم وقبائلهم ، وتنتهى بنفيه الى الغابون سنة 1937 . وتنقسم هذه الفترة الى مراحل هـــى :

1 ـ مرحلة ما قبل تأسيس « كتلة العمل الوطنى » :

وهى من المراحل المهمة فى تاريخ كفاح الاستاذ علال الفاسى ضد المستعمر ان لم نقل أهم هذه المراحل . وكذلك فى تاريخ الحركة الوطنية عامة . وهنا يبرز سؤال مهم هو : لماذا أضفينا على هذه المرحلة تلك الهالة من القوة والعظمة وصبغناها بصبغة الفعالية الكبيرة ؟ . عند الاجابة على هذا السؤال يكون لزاما علينا ان ننقل وبكل امانة أن هذه المرحلة تعتبر بالنسبة للمقاومة المغربية المرحلة الحاسمة فى تاريخ الكفاح . لانه خلالها تم للحركة الوطنية أن تنتقل من طور العمل الاولى المتمثل فى الاحتجاجات والعرائض وغيرها الى طور العمل الفعلى المتمثل فى قيادة المظاهرات الاحتجاجية وتنظيمها والاعتصام بالمساجد الكبرى فى المدن لقراءة اللطيف ، ومجابهة قوى الاستعمار المتمثلة فى رجال الاقامة العامة بالمغرب ، ومقارعة الحجة بمثلها وتكوين الوفود المفاوضة التى كونت نواة الاحزاب الوطنية فيما

بعد ، وتوقيع عرائض الاحتجاجات زيادة على المجابهات بين الجيش الفرنسي والوطنيين والتي كان ينشأ عنها قتلى وجرحى ومعتقلين .

بقي أن نتساءل مرة أخرى : لماذا حددنا بداية هذه المرحلة والتي قلنا بأنها أهم المراحل ، لماذا حددناها بصدور الظهير البربري سنة 1930 وما هو هذا الظهير البربري وما قيمته حتى نجعله حدا فاصلا بين مرحلتين من مراحل الكفاح التي خاضها الاستاذ علال الفاسي في سبيل استقلال وطنه . وكفاح الحركة الوطنية عامة .

الحقيقة أن هذا الظهير البربري أو هذه السياسة البربرية هي آخر ما اهتدى اليه الفكر الفرنسي للقضاء على مقومات المغرب العربي وادماجه في حظيرة العائلة الفرنسية ، فلقد ظل الفرنسيون منذ أحتلال الجزائر يبحثون عن الوسيلة التي تهيىء لهم الامتلاك الدائم والشامل للشمال الافريقي وتعميره بمسيحيين من العنصر اللاتيني ، وكان يقف في وجههم دائما تمسك السكان الاصليين باسلامهم وبوحدتهم ، فاهتدوا الى أن أفضل السبل هي التغلب على العنصر الاصلي بطريق الهجرة ، واعطاء المهاجرين امتيازات كثيرة تجعل الاهالي في حالة من البؤس والشقاء لا يستطعون معها مقاومة الفناء، ومقاومة الاندماج في العنصر الفرنسي ، ولكن عملهم هذا باء بالفشل الذريع ، فلقد تعاقبت الايام والسنوات والاهالي لا يزدادون الا بعدا عن الانحدار للفناء رغم ما يحيط بهم من مكر وتقتيل ، كما أن الهجرة الاجنبية لم تستطع أن

تصل الى الحد الذى تتمكن فيه من ان تنال الاغلبية فى هذه البلاد . ففكر المستعمر فى تقويتها بتجنيس اليهود والجزائريين والجاليات المالطية والايطالية ، لكن كل هذا لم يؤد الى النتيجة المرغوبة ، فبقى حل واحد هو تجنيس المغاربة أنفسهم ، ولكن المغاربة يرفضون الاندماج فى غيرهم ، وهم أعظم كبرياء من ان يقبلوا جنسية قوم يعتبرونهم روميين محتقرين فى نظرهم لانهم استولوا على أراضيهم واستغلوا خيراتها بشكل فظيع وجعلوا من أصحابها عبيدا لهم يعملون ويكدون لكسب ما يسد رمقهم فقط . وبعد دراسة من طرف المستعمر انتهى الى أن مصدر هذا الاحتقار هو التعصب الدينى الناشىء عن الاسلام الذى يحيط بهم وعن تعاليمه الديمقراطية البناءة ، اذن فالمستعمر تعرف على أصل الداء ومصدر البلاء وهو الاسلام ففكر فى ان الفرنسة لا يمكن أن تنجح الا عن طريق محو الدين الاسلامى وتمسيح الاهالى ، وهذا فى نظر المستعمر ليس بالامر الصعب خصوصا وأن القسم الاكبر من سكان المغرب هم برابرة اسلامهم فى زعمه سطحى ، كما أن اندماجهم مع العرب ليس تاما ، فاذا حيل بينهم وبين العرب وكل ما جاء به العرب من لغة وثقافة وقضاء فيسهل اقتيادهم الى الدين المسيحى .

هذه هى السياسة البربرية فى خطوطها الكبرى وهى ترمى لفرنسة المغرب لغويا وسياسيا وقضائيا ، وتتخذ لذلك سبلا ووسائل للتفرقة بين عنصرين كبيرين فى البلاد هما : العنصر العربى والعنصر البربرى ، فعمدت السلطات

الاستعمارية الى العنصر البربرى الذى تظنه أقرب اليها فأرادت الحيلولة بينه وبين الثقافة الاسلامية والعربية ، وعمدت الى الجماعات القبلية التى كانت مهمتها الدفاع عن القبيلة وتدبير مصالحها وحل مشاكلها المحلية وتمثيلها أمام ولاة الملك فقلبتها الى محاكم قائمة بذاتها ، وجعلت مما بقى من بعض الاعراف الجاهلية قانونا ثابتا ، وقد وصل بها الغلو الى أن ترفع قضايا الجنايات التى تقع فى الاراضى البربرية الى المحاكم الفرنسية رأسا ، كما عمدت الى الكتاتيب القرانية والمساجد فأقفلتها وحالت بين الفقهاء ورجال الدين وبين التجول فى البوادى البربرية لتعليم الناس احكام دينهم وتعريفهم بمبادئه الصحيحة .

وهكذا تجرد القسم الاكبر من رعايا البلاد من سلطة الملك الدينية والزمنية التى تتجلى فى القضاء الشرعى والمخزنى ، وقد بدأت هذه السياسة بظهير 11 شتنبر 1913 الذى أصدره المريشال «ليوطى» المقيم العام الفرنسى بالمغرب بدعوى احترام التقاليد البربرية . واستمرت هذه السياسة تبدو فى مظاهر مختلفة ومتعددة الى يوم 16 ماى 1930 حيث تجلت فيما يسمى بالظهير البربرى الصادر فى عهد المقيم العام الفرنسى «لوسيان سان» ومع أن هذا الظهير غامض الدلالة فانه جرد الحكومة الشريفة من سيادتها على القبائل البربرية ، وأحدث محاكم عرفية لم يعرفها المغرب فى تاريخه بحال ، وأراد جعل البربر رعايا فرنسيين مسيحيين فى معاملاتهم وفى علاقاتهم بالطبقة الحاكمة المستعمرة .

هذه نظرة وجيـــزة على الظهير البربرى وتاريخ السياسة البربرية تجلت من خلالها السياسة المتبعة من طرف المستعمر ضد أرض المغرب وشعبه ، وطبيعى أن يعقب صدور هذا الظهير حركة استنكار وثورة ، وطبيعى ان تنقلب المقاومة الوطنية من مقاومة تطالب بالاصلاح وتعمل على تنوير الشعب وتكوين الجمعيات الى المواجهة المباشرة مع المستعمر لان الخطوة التى أقدم عليها لـــو استطاع أن ينجح فى تنفيذها لأمكن له أن يأمن شر مقاومه اغلب سكان المغرب وضمهم ألى صفوفه ، ولما صعب عليه القضاء على الثلة الباقية من السكان العـــرب ، ولكن المقاومة الوطنية وعلى رأسها الاستاذ علال الفاسى غيرت طريقتهـــا فى مقاومة الاستعمار وعملت على الوقوف فى وجهه بشكل علنى ، وتكتيل الشعب ضده ، وتوجيه الرأى العـــام وخصوصا منه البربرى الى خطـــورة ما أراد الاستعمار الاقدام عليه ، وهكذا أعقبت ظهور هذا الظهير حركة مقاومة عنيفة ، قادها رجال المغرب الاشداء وبدأت على شكل تجمعات فى المساجد الكبـــرى فى مدينة سلا والرباط وفاس ، وتطورت الى مظاهرات منظمة وخطب سياسية حماسية وبرقيات تستنكر هذا الظهير الذى يريد واضعوه أن يفرقوا بين المواطنين ، وكان المتظاهرون يرددون قول : « اللهم يا لطيف نسألك اللطف فى ما جرت به المقادير والا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر » .

كل هذه الاعمال اعطت للمقاومة الوطنية فى هذه الفترة وزنا وثقلا فى ميدان المعركة واصبح لهذه الاخيرة قوة

عظمى للسيطرة على عواطف الشعب والهاب حماسه مما أفقد المستعمر صوابه فاحتل عدة نقط بمدينة فاس كما أرسل عدة وحدات من الجيش الاحتياطى لداخل المساجد لمنع قراءة اللطيف ، فوقعت اصطدامات بين الوطنيين وقوة الامن نتج عنها القاء القبض على زعماء الحركة الوطنية ، حيث تم القاء القبض على الاستاذ علال الفاسى فى يونيه 1930 هو وجماعة من الوطنيين وبقى فى السجن مدة أربعة عشر يوما . ولكن هذه الخطوة لم تزد القاعدة الشعبية الا تشبثا بزعمائها وبمبادئها الوطنية ، ولم تزد سوى انتشار المظاهرات وكثرتها فى جميع الانحاء ، وحتى فى الاوساط البربرية التى أخذت تقدم الاحتجاجات الى الادارة المحلية عن سوء عملها الى أن اضطر الكومندار «ميلى» رئيس الشؤون الاهلية بناحية فاس أن يذيع منشورا يطمئن فيه الناس على اسلام البربر ، وعلى أن كل ما فعلته الحكومة هو تنظيم لقضاء قديم ، كما اضطر الى اطلاق سراح الاستاذ علال الفاسى وبقية المسجونين ، ولكن هذا التدبير كان غير كاف لحل المشكلة العامة ، فاستمر المواطنون وضمنهم بعض الزعماء فى مواصلة الاحتشاد فى جامع القرويين للدعاء والاحتجاج ، كما اتجه وطنيون آخرون لتكتيل الصفوف وكسب عطف الشيوخ والشخصيات البارزة كأعضاء المجلس البلدى بالمدينة والغرف التجارية والفلاحية بها ، وبذلك دخلت المقاومة فى مرحلة مهمة هى تضامن الشباب والشيوخ وممثلى مختلف الطبقات الشعبية من أجل مساندة حركة المقاومة والتضامن معها . فتكون وفد بضم سبعة عشر عضوا يمثلون مختلف الطبقات وقرر

تقـــديم احتجاجات قويـــة الى السلطات الفرنسية على احتلال المدينة وعلى الاعتقالات الجماعية ، وفعلا قابل هذا الوفد الكولونيل «سطرول» خليفة المقيم العام يوم الثلاثاء 29 يولوز 1930 وقدم له تلك الاحتجاجات ، وبعد حوار ومناقشة حادة طلب الكومندان «ميلى» من أعضاء الوفد أن يعينوا وفدا آخر قصد التباحث معه فى ايجـــاد حل للمشكل من أصله ، وفى تنظيم علاقات متينة بين الاقامة العامة والوطنيين ، فقبل هذا الوفد الفكرة على أساس اطلاق سراح المعتقلين فى المظاهرات التى قامت من أجل الظهير البربرى ، وفعلا تكون وفد خماسى دخل فى مفاوضات مع الكومندان «ميلى» دامت من يوم السبت 2 غشت الى يوم الثلاثاء 12 منه سنة 1930 استمرت خلالها المظاهرات الصاخبة والتجمعات التى تعقد فى المساجد ، ولما لم تجد هذه المفاوضات نفعا قرر الوطنيون تنظيم وفد رسمى يمثل الافكار التى يدافعون عنها ليذهب لمقابلة جلالة الملك فى الرباط ، ويكون منتخبا من مختلف الطبقات الشعبية ، عندئذ توقفت المظاهرات واستدعى الجمهور للاجتمـــاع بمقر المجلس البلدى الفاسى حيث وقع انتخاب وفد مكون من 24 عضوا يمثلون سائر الاوساط الشعبية من علماء وأعيان وصناع وعملة وفلاحين وشباب عصرى ، وكون هذا الوفد لجنة لوضع المطالب التى يعرضها على السلطات العليا فيما يخص السياسة البربرية ، وكان الاستاذ علال الفاسى من ضمن أعضاء هذه اللجنة التى وضعت هذه المطالب والتى صادق عليها بقية أعضاء الوفد وأيدتهـــا عرائض الشعب من كل جهة والتى تتلخص فيما يلى :

1 ــ الغاء ظهير 16 ماى1930 وسائر الظهائر والقرارات التى سبقته والتى اتخذت فى معناه ٠

2 ــ تكوين قضاء موحد لسائر المغاربة ٠

3 ــ ربط جميع الموظفين الدينيين والمدنيين بسلطة الملك الشخصيـــة ٠

4 ــ ليس فى المغرب دين قومى الا الاسلام واليهودية ٠

5 ــ منع الهيئات الاجنبية وادارة المعارف من استعمال وسائل التبشير ٠

6 ــ اللغة العربية وحدها لغة البلاد الرسمية ، ولذلك يجب أن تكون هى الاساسية فى التعليم (1) ٠

ولكن السلطات الفرنسية منعت الاستاذ علال من مرافقة الوفد الى الرباط هو وبعض اخوانه بدعوى صغر سنه ، وعندما وصل الوفد الى الرباط قابل جلالة الملك محمد الخامس وقدم له العريضة المشتملة على المطالب السابقة ، فأبدى جلالته تأثرا بالغا ووعد أعضاء الوفد خيرا ، وبمجرد رجوع الوفد الى فاس بأمر من السلطات الاستعمارية ألقى القبض على بعض أعضائه كمحمد بن عبد السلام لحلو ، ومحمد بن الحسن الوزانى ، وعبد

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى ــ للاستاذ علال الفاسى ــ ص 146 ٠

العزيز بن ادريس ، والهاشمي الفيلالى ، وما ان علم المواطنون برجوع الوفد دون تحقيق أى تقدم ملموس ، وعلم كذلك بالاعتقالات والتعسفات التى واجهت أعضاءه حتى أستؤنفت المظاهرات وذكر اللطيف بالمساجد ، وعرفت مدينة فاس اضرابا عاما لمدة عشرة أيام وقعت أثنـــاءها اصطدامات عنيفة بين الوطنيين ورجال الامن ، واحتل الجيش جامع القرويين وبقية المساجد الكبرى فى فاس ، وأعلنت حالة الطوارىء والقى القبض على مئات السكان ، وكان من ضمن المعتقلين الاستاذ « علال الفاسى » الذى نفى هو وسبعة من اخوانه الى سجن تازة ولم يطلق سراحه الا بعد شهرين من اعتقاله عندما قـــام رئيس الجمهورية الفرنسية بزيارة المغرب بدعوى حل المشاكل .

وكان لهذه الحوادث صدى استياء كبير فى العـــالم الاسلامى والعربى وخصوصا فى مصر التى رفعت صوتها عاليا ضد هذه السياسة الصليبية ، ورفع علماء الازهر الشريف عريضة استنكار للملك فؤاد الاول ، كما رفع الشعب عرائض مماثلة للسفارات الاجنبية فى البلاد مما اضطر المفوضية الفرنسية فى القاهرة الى اصدار بيان تحاول فيه أنكار هذه الحقائق ، ولكن ممثلى الحركـــة الوطنية فى مصر سرعان ما سفهوا زعمها ، وكذلك كان الحال فى فرنسا فقد قام الطلبة المغاربة الموجودون هناك باصدار رسالة أسموها «عاصفة مراكش (1)» أو «أخطاء

---

(1) المقصود بكلمة مراكش ، بلاد المغرب لان بلدان المغرب العربى كانت تسمى اذ ذاك بأسماء عواصمها .

السياسة البربرية» ، كما قاموا بشرح هذه السياسة للرأى العام الفرنسى وللمسؤولين هناك خصوصا وانه كان على رأس الحزب الاشتراكى الفرنسى اذ ذاك بعض الشخصيات الحرة مثل السيد « رونوديل - RENOUDELE » وعائلـــة «أونكى» « ONKY » وغيرهم من الذين كانـــوا لا يرضون عن سياسة دولتهم الاستعمارية ، وبتأثير من الامير شكيب أرسلان الذى كان يومن بالقضية المغربية ايمانا شديدا أسس المغاربة هناك مجلة تحت رعاية هؤلاء الاشتراكيين ــ حتى تأمن شر مضايقة الحكومة لها ــ سنة 1932 ، كانت تحمل اسم «مغرب» وتعمل على فضح أعمال الحماية الفرنسية بالمغرب ، وعلى توجيه الرأى العام الفرنسى لصالح القضية المغربية ·

هكذا نرى أن هذه المعركة ضد الظهير البربرى كانت نقطة تحول فى عقلية الوطنيين المغاربة والشعب المغربى قاطبة ، وفى زيادة فهم نوايا المستعمر وعقليته تجاه أرض المغرب ورجاله · فهى بهذا تعتبر فاتحة عهد جديد من الكفاح الوطنى فى الداخل والخارج والذى سيتطور الى الحركة الفدائية التى كانت لها اليد الطولى فى استرجاع المغرب لاستقلاله ، وفى التعجيل بهذا الاستقلال ، وهكذا وجد المغاربة أنفسهم بعد هذه المعركة وجها لوجه مع الحماية الفرنسية يقاومون سياستها ويعملون على الاحتفاظ بوحدة بلادهم وتحرير أبنائها · كما وجدوا أنفسهم مدفوعين للانتظام فى دائرة كتلة تعمل على تنسيق الحركة الوطنية وتوجيهها فكان أن تأسست «كتلة العمل الوطنى» سنة 1932

2 ــ مرحلة الكفاح ضمن «كتلة العمل الوطنى» :

لقد نشأت «كتلة العمل الوطنى» تبعا لرغبة الوطنيين المغاربة فى الانتظام فى دائرة منظمة تعمل لتنسيق الحركة الوطنية وتوجيهها ٠ وقد كان للاستاذ علال الفاسى شرف ابداء هذه الرغبة والعمل على ابرازها للوجود بمساعدة صديقيه أحمد مكوار وحمزة الطاهرى الذين اجتمعوا فى فندق «برحبة لقيس» بفاس وعملوا على تأسيس جمعية سرية وضعت لها قوانينها وسميت باسم «الزاوية» وكان أفراد هذه الجمعية ضمن الوفد الوطنى الاول الذى حظى بمقابلة الملك فى غشت 1930 وقدم له لاول مرة وثيقة الاحتجاج الشعبى ضد السياسة البربرية ، ونادى بتحرير السلطة المغربية من الهيمنة الفرنسية عليها ٠

وبعد فترة وجيزة أسست جمعية أخرى سميت «الطائفة» كانت تعمل فى الظاهر على أنها مستقلة عن «الزاوية» ولكنها كانت فى الواقع جزءا منها ، وسرعان ما حلت محلها وهى التى أخذت اسم «كتلة العمل الوطنى» ٠

وقد آلت «كتلة العمل الوطنى» على نفسها منذ تأسيسها القيام بتنوير الرأى العام فى فرنسا والخارج من جهة ، وتنبيه الشعب واعداده لتحمل أطوار المقاومة فى الداخل من جهة أخرى ٠ وبذلك أخذت البلاد المغربية تشهد مظاهر وألوانا من الاحتجاجات لم تعهدها من قبل ، فمن نشرات تعلق بالجدران وتوزع بكميات هائلة فى كل الاوساط ، الى أغان وأناشيد تنتشر بين الناس ويتملى بها الجمهور ، الى نشر أبحاث قيمة عن البربر وأثرهم فى

الاسلام وعن الشخصيات الكبيرة التى نبغت من بينهم وعن مفاخرهم ومآثرهم . ومن جملة أعمالها أيضا الدعوة الى مقاطعة سائر البضائع الفرنسية والاستعاضة عنها بالبضائع المغربية والعربية داخل الاوساط الشعبية وخصوصا منها البربرية التى استفحلت فيها هذه الدعوة وانبعث الوعى القومى فى نفوس البرابرة حيث أصبحوا يحسون ويتحركون للدفاع عن عقيدتهم وعن دينهم .

وقد عمل الاستاذ علال الفاسى ضمن اطار «كتلة العمل الوطنى» على تأسيس صحافة تعمل على شرح القضية المغربية والتعريف بها ، فكان أن أسست مجلة «مغرب» فى باريس بتعاون مع بعض أعضاء الحركة الوطنية ومع بعض الاشتراكيين التحرريين فى فرنسا . وبعدها أسست جريدة «عمل الشعب» بفاس وكانت تصدر باللغة الفرنسية لامكان الحصول على اذن صدورها، وقد عمل محرروها على الدفاع عن مصالح الامة وتوضيح رغباتها . وكذلك أسست مجلة «السلام» تحت اشراف الاساذ داوود بتطوان والمنطقة الشمالية باتفاق بين الوطنيين فى الشمال والجنوب . وكذلك صدرت جريدة «الحياة» باللغة العربية والتى كان يرأس تحريرها الزعيم الاستاذ عبد الخالق الطريس والتى كانت لسان «كتلة العمل الوطنى» بالشمال .

والى جانب هذه الحملات الصحفية التى كانت تشنها الوطنية المغربية متجسدة فى «كتلة العمل الوطنى» وفى رجالها قام الاستاذ علال الفاسى بحملة توعية من نوع

آخر وذلك عن طريق دروس شعبية تكلف بالقائها فى جامعة القرويين ، فكانت هذه الدروس تضم الى جانب طلبة الجامعة والمدارس الثانوية والنخبة المثقفة فى البلاد آلاف المغاربة من رجال ونساء كانوا يجدون فيها الاسلوب الجديد الذى يحاول أن يخرج بهم الى التفكير فى حالهم ومصيرهم ، وقد كان لهذه المحاضرات أثرها الفعال فى نشر المبادىء الصحيحة والافكار النيرة وتأييد الحركة الوطنية فى الاوساط الشعبية ، كما كان لها الفضل فى تكوين ثلة من الشباب المثقف وتوجيهه الوجهة الصحيحة فى القومية والسلفية وملئه بالروح الوطنية · ولكن السلطات الاستعمارية كانت ترى فى هذه الدروس مظاهرات سياسية شعبية كل يوم لا يمكن أن يسمح ببقائها ، فأخذت تعمل على منعها ، ولكنها كانت تجد صعوبة بسبب الصبغة الدينية التى اصطبغت بها من أول وهلة ، فأخذت تحاول اتخاذ التدابير لمنعها باسم جلالة الملك بصفته الرئيس الدينى للمغرب ، واستخدمت لذلك بعض أذنابها من ادعياء المشيخة الذين كتبوا عدة عرائض يتهمونه فيها بالنيل من الصالحين والمساس ببعض العقائد الصوفية ، ولكن محاولاتهم هذه كانت تبوء بالفشل الذريع فى كل مرة ·

هكذا نرى أن «كتلة العمل الوطنى» حولت مجرى الاحداث لصالح الوطنية ودفعت بها خطوات كبيرة فى درب التحرر والانعتاق من العبودية والظلم · وفى أواخر غشت 1933 سافر الاستاذ علال الفاسى الى مدينة طنجة ثم تطوان موفدا من طرف «كتلة العمل الوطنى» الى الوطنيين

فى الشمال لتنسيق العمل معهم ، فاستقبل هناك بحفاوة وتكريم بالغين وقد ارتجل كلمة هناك شرح فيها الغاية من الحركة الوطنيـــة سواء فى الجنوب أو فى الشمال هذه الغاية هى تحرير البلاد والتسلق بها فى مدارج الحضارة والرقى عن طريق التقدم فلم يرق للسلطات الاستعمارية الاسبانية هذه الخطوات البناءة وهذا التلاحم الموجود بين الوطنيين فى المنطقتين فاستغلت فرصة ذهابه لزيارة مدينة سبتة وأصدرت أمرا لرجال الجمارك على الحدود بعدم السماح له بدخول الاراضى الخليفية ، فسافر الى الجزيرة الخضراء باسبانيا ومنها الى طنجة على أمل الرجوع الى فاس لمتابعة دروسه ولكنه بمجرد أن وصل الى مدينة طنجة التقى بأحد الوطنيين الذى سلمه رسالة واردة من أعضاء الكتلة تخبره بصدور اذن من باريس بالقاء القبض عليه ووضعه تحت المراقبة ، كما تخبره بأن الكتلة قد اجتمعت ورأت أن اعتقالـــه سيؤدى الى مظـــاهـــرات واصطدامات عنيفة ليس من المصلحة وقوعها فى تلـــك الظروف لهذا فانها تطلب منه أن يسافر الى باريس ريثما تتغير الظروف . وهكذا غادر الاستاذ علال مدينة طنجة قاصدا جبل طارق ومنه الى اسبانيا حيث لحق به عضوين من كتلة الشمال فكونوا ثلاثتهم وفدا قام بعدة اتصالات فى الاوساط الاسبانية وعقد عدة اجتماعات مع بعض المفكرين الاسبانيين لشرح الحالة العامة فى المغرب ، وتبيان أغلاط السياسة الاسبانية فيه ، كما رفع الاستاذ علال مذكرة للمكتب المغربى فى رئاسة الوزارة الاسبانية يحتج فيها على موقف اسبانيا من منعه للدخول الى المنطقة الخليفية ،

وبعد ذلك انتقل الى باريس حيث قضى بها سبعة شهور كانت كلها نشاطا دائبا وحركة مستمرة فى سبيل مصلحة البلاد العليا وبتعاون مع طلبة المغرب هناك وخصوصا السيد أحمد بلافريج والسيد محمد الفاسى اللذان كانا يرأسان جمعيات للطلبة المغاربة هناك . وقد أقام بتعاون معهم عدة مؤتمرات ومهرجانات ، وكان لهذه الحركة اثرها فى تغيير المقيم العام الفرنسى بالمغرب السيد «لوسيان سان» وتعويضه بمقيم جديد هو السيد «بونصو» وكذلك سمح له بالعودة للمغرب واستئناف دروسه بالقرويين .

وهكذا وبعد سبعة شهور من الاقامة بباريس رجع الى مدينة طنجة فى يناير 1934 مارا بمدريد وعند وصوله وجد هناك مدير الشؤون الاهلية بالاقامة العامة الفرنسية الذى اخبره بأنه يود المحادثة معه باسم السلطان وباسم المقيم العام من أجل حل بعض المشاكل المهمة وتقريب وجهة النظر بين الحماية والوطنيين ، وقد دامت هذه المحادثات ثلاثة أيام بمعدل ست ساعات فى كل يوم وتناولت جميع الموضوعات التى تشغل بال الوطنيين وكيفية مواجهة الحالة القائمة وضروب الاصلاح الذى يؤملها الاستاذ علال وكافة الوطنيين . وقد عرض عليه مدير الشؤون الاهلية أثناء هذه المحادثات منصب وزير العدل فى الحكومة الشريفة ، ولكنه اعتذر بأنه لا يمكن أن يقبل اية وظيفة ما دام الموظفون المغاربة لا يمثلون الا اداة تنفيذية فى يد السلطات الاستعمارية . وبعد انتهاء هذه المحادثات البيزنطية التى لم تكن ترمى الى أكثر من الدراسة والاستخبار ، واصل الاستاذ علال طريقه الى مدينة

فاس ، وبعد وصوله بأيام قليلة استدعى للقصر الملكى لمقابلة جلالة الملك محمد الخامس فكانت هذه اول مرة يحظى فيها زعيم وطنى بمقابلة عاهل البلاد كما كانت هذه المقابلة تسفيها صريحا لما كان يروجه المستعمرون من كون الوطنيين ثائرين على الملك ، وان هذا الاخير غير راض عن الحركة الوطنية التحريرية القائمة . هاته الاشاعات التى روجوها بعد سفر الاستاذ علال الى باريس فرارا من الاعتقال حيث انهم حاولوا ان يقنعوا صاحب الجلالة بأنه سافر بصفة مبعوث من الحركة الوطنية للتفاوض على ارجاع المولى عبد الحفيظ للملك . ولكن أعضاء الكتلة أرادوا أن يبرهنوا عى خطأ هذه الفكرة فاهتدوا الى فكرة سديدة هى فكرة تأسيس عيد العرش يوم 18 نوفمبر الذى هو يوم جلوس صاحب الجلالة على عرش أجداده حيث كان الاحتفال رمزيا سنة 1933 ورسميا على جميع المستويات والطبقات سنة 1934 ، كما انتهزوا فرصة الزيارة الرسمية التى قام بها جلالته الى فاس يوم 8 ماى 1934 ليبرهنوا عن ولائهم وتعلقهم بالعرش فى عاصمة ملكه الروحية ، فنظموا الاستقبالات الشيقة التى لم يسبق لها نظير ونصبوا أقواس النصر فى كل شارع وعلقوا الرايات المغربية فى طول المدينة وعرضها ، وأصدرت جريدة « عمل الشعب » عددا خاصا بهذه الذكرى محلى بصورة جلالة الملك وصورة ولى عهده الامير الحسن ، وكانت لحظة استقباله لحظة حاسمة انطلقت فيها الالسنة بالهتافات والشعارات الوطنية والنداء بحرية المغرب واستقلاله مما حذا بالسلطات الفرنسية أن تطلب من

جلالته أن يلغى صلاة الجمعة التى كان مقررا أن تكون بمسجد القرويين وأن تطالبه باعتقال زعماء «كتلة العمل الوطنى» ولكن جلالته رفض هذا الامر رفضا باتا واحتج على ذلك بأن قطع زيارته الى فاس ورجع الى عاصمة ملكه فى الحين ، فبعثت الكتلة ببرقية ولاء الى جلالتـــه تعبر فيها عن تضامن أفرادها مع جلالتهوتعلقهم بعرشه الكريم ، وازاء هذهالمواقف لم تجد السلطات الفرنسية شيئا تنتقم به من «كتلة العمل الوطنى» سوى توقيف جريدتها «عمل الشعب» ومنع مجلتها «مغرب» التى تصدر بباريس من الدخول الى المغرب ، وكذلك منع مجلـــة «السلام» وجريدة «الحياة» اللتان تصدران فى الشمال من الدخول للاراضى السلطانية ، كما حاولت توقيف دروس الاستاذ علال الليلة عن طريق الحكومة الشريفة ، ولكنها كانت تواجه دائما بعدم القبـــول .

وهنا نجد ان الحركة الوطنيـــة المتمثلة فى «كتلة العمل الوطنى» اتجهت فى هذه المرحلة الى انتقاد الحماية والتشنيع بسياستها فى جميع الميادين ، وكذلك الى محاولة العمل على اصلاح شؤون البلاد وتحسين حالة أبنائها ، ولكن الصحف الفرنسية قامت بمهاجمة الوطنيين ووصفتهم بكونهم يخوضون معركة من أجل أشياء لا يستطيعون تحديدها هم أنفسهم ، فقررت الكتلة تبعا لسياسة المراحل التى كانت تتبعها والتى أبانت عن فشلها فيما بعد قررت تقديم برنامج اصلاحات مغربية أو (مطالب الشعب المغربى) باعتباره مرحلة ممهدة للمطالبة بالاستقلال ، وفى نونبر 1934 قامت وفود الكتلة بتقديم وثيقة هذه المطالب الى

الدوائر المعنية كالقصر الملكى والاقامة العامة الفرنسية ووزارة الخارجية الفرنسية · وهذا البرنامج يحتوى على خمسة عشر فصلا يتضمن كل واحد منها بنودا عديدة تشمل كل ما يلزم لاصلاح الجهاز المسير ، أما خطوطها الرئيسية فهى :

1 ــ تطبيق معاهدة الحماية والغاء كل مظاهر الحكم المباشر ·

2 ــ توحيد النظامين الادارى والقضائى لجميع البلاد المغربية ·

3 ــ تاديم المغاربة فى جميع فروع الادارة المغربية ·

4 ــ الفصل بين السلطات التى يقوم بها القواد والتى يقوم بها الباشوات ·

5 ــ احداث بلديات ومجالس اقليمية وغرف تجارية ومجلس وطنى يحتوى على نواب مسلمين واسرائيليين (1) ·

ولقد كان لاعلان هذا البرنامج صدى عظيما فى الاوساط الفرنسية والمغربية فأصدرت الحكومة الفرنسية أمرها للاقامة العامة بالمغرب بضرورة دراسة هذا البرنامج وموافاتها بوجهة نظرها فيه ، وقد ظلت هذه المطالب برغم

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى ــ ص 166 ·

هذه الدراسة وبرغم القبول الحسن الذى ظفرت به موطن تردد من طرف السلطات الاستعمارية ولم يحظ بالتنفيذ الا فى القليل من جزئيـــاته ٠

هكذا نرى أن «كتلة العمل الوطنى» قطعت خطوة جبارة بتقديم هذه المطالب ، والحق أن رجال الكتلة الافذاذ أظهروا حنكة ودراية لا مثيل لهما فى ميدان تخطيط هذه المطالب وتبويبها وترتيبها حسب أهميتها واعطائها الصبغة القانونية ، والعمل على جعلها غير متعارضة مع معاهدات المغرب وأوفاقه مع الدول الاخرى سواء منها معاهدة الحماية أو معاهدة الجزيرة الخضراء أو غيرها ٠ وهذا يدل على أن الحركة الوطنية كان يسير دفتها فى ذلك الوقت رجال بلغوا شأوا عظيما فى ميدان الثقافة والعمل الدائب والنشاط المتزايد بالاضافة الى الذكاء الخارق الذى كانوا يتمتعون به الشىء الذى أهلهم لان يكونوا ذوى فعالية كبرى فى الميدان الوطنى والتحررى ٠

سبق القول أن برنامج المطالب المغربية لم ينفذ منه شىء يذكر ٠ وبقى الحال على ذلك الى يوم 25 أكتوبر 1936 حين أنعقد مؤتمر لكتلة العمل الوطنى بالرباط كان أول أعماله وضع مطالب مستعجلة للتذكير بالمطالب لسابقة وتقديمها للدوائر المعنية ، وتشتمل على سبعة فصـــول جعلت قضية الحريات الديمقراطية أول فصل فيها وعنيت بقية الفصول بالتعليم والعدل والفلاحة والعمال والضرائب والصحة ٠ و فى هذه السنة نفسها عين مقيم جديد هو «الجنرال نوجيس» خلفا للمقيم العام السابق «بيروتون» ٠

وفى 17 نونبر 1936 قررت الكتلة اقامة مؤتمر بالدار البيضاء للمطالبة بحقوق الصحافة المغربية ، ولكن السلطات الاستعمارية منعته فى آخر لحظة ، مما ألهب حماس المواطنين فنظموا مظاهرة عظيمة فى شوارع البيضاء الى أن وصلوا الى ساحة الحرية وهناك القى الاستاذ علال خطابا فى جموع المتظاهرين ندد فيه باستبداد الادارة الفرنسية وطلب منهم أن يعودوا الى منازلهم دون فوضى ولكن سلطات الاستعمار اعتقلته هو وبعض الوطنيين مما حمل الكتلة على ارسال مندوب عنها الى باريس للاحتجاج لدى وكيل وزارة الخارجية الفرنسية لشوون الشمال الافريقى كما قامت مظاهرات عظيمة فى جميع مدن وقرى المغرب تضامنا مع الوطنيين المعتقلين اشتبك خلالها الوطنيون مع رجال الامن ، والقى القبض مرة أخرى على بعض أعضاء مكتب الكتلة وعلى كثير من المواطنين وأصبحت الفوضى عارمة ، الشىء الذى حمل رئيس الحكومة الفرنسية على اصدار أمره للجنرال «نوجيس» باطلاق سراح المعتقلين وتغيير سياسته المزعجة ، فسارع هذا الاخير الى تطبيق الامر الصادر اليه والى العمل على اغراء الاستاذ علال بمجرد خروجه من السجن على الاتصال به والتفاهم معه حول المطالب المستعجلة ولكن الاستاذ علال كان يرفض لقاءه بصفة شخصية ويلح على أن يكون هذا اللقاء على أساس كونه مندوبا عن الكتلة وممثلا لها ، وأخيرا قبل الجنرال «نوجيس» هذه الفكرة ووقع الاجتماع الذى درست فيه جميع المطالب فصلا فصلا ، والذى تغيرت على اثرة سياسة الاقامة العامة

من الشدة والقوة الى نوع من اللين حيث أن الجنرال «نوجيس» وعده بالعمل على تنفيذ هذه المطالب وعلى حل جميع المشاكل المعلقة ، كما سمح للكتلة باصدار جريدة باللغة العربية بمدينة فاس تحت أسم «الاطلس» كانت ناطقة باسم الكتلة ، وكذلك سمح باصدار جريدة «المغرب» اليومية بمدينة سلا . ورفع الحجز الذى كان مفروضا على جريدة « عمل الشعب » التى كانت تصدر فى فاس باللغة الفرنسية .

وهكذا تهيأت بالحصول على اذن اصدار بعض الجرائد والتأييد الذى حظيت به الكتلة من طرف بعض الاحزاب الفرنسية التى كانت فى الحكم ، تهيأت امكانية تنظيم « كتلة العمل الوطنى » تنظيما حزبيا تاما على غرار الاحزاب الكبرى ، وتهيأت كذلك امكانية العمل فى اطار أوسع ، فقررت الكتلة توسيع دائرة عملها وعهدت الى الاستاذ علال الفاسى والسيد محمد حسن الوزانى بوضع قوانين وتنظيمات جديدة لتسيير الكتلة تسييرا محكما ، وهكذا تم تكوين لجنة تنفيذية ومجلس وطنى ولجان فنية وفروع ، وقررت الكتلة أن تنتخب لجنة تنفيذية مؤقتة تشرف على العمل ريثما يعقد المؤتمر العام لانتخاب اللجنة التنفيذية الدائمة وبقية الخلايا . وفعلا وقع اجتماع فى يناير 1937 أنتخبت فيه اللجنة التنفيذية المؤقتة عن طريق الاقتراع السرى وأسندت رئاستها الى الاستاذ علال بالاجماع ، واستمر العمل هكذا ففتحت مكاتب : فى جميع الانحاء لتسجيل المنخرطين مما حذا بالاقامة العامة الى اصدار قرار حل كتلة العمل الوطنى حلا نهائيا يوم 18

مارس 1937 واقفلت مركزها العام الموجود بمدينة فاس ووزعت بيانات تعلن فيها عن هذا القرار ·

هذه نظرة وجيزة عن « كتلة العمل الوطنى » وعن ميلادها ونشأتها ثم نهايتها والاعمـــال التى قامت بهـــا والخطوات الجبارة التى خطتهـــا فى سبيل نشر الوعى الوطنى وفى سبيل مقاومة الاستعمار والعمل على لرجاع سيادة المغرب واستقلاله ، وقد سقناها فى بحثنا هذا نظرا لما يوجد فى هذه المرحلة من التحام وتنـــاسق بين العمل الذى كان يصدر عن هذه الكتلة وبين عمل الاستاذ علال الفاسى فى هذه المرحلـــة خصوصا وانه كان من ضمن اعضائها البارزين ، واحد مسيريها واصبح رئيسها سنة 1937 قبل أن يصدر قرار حلها ، ونحن لا نعزو عمل الكتلة كلها الى شخصه وحده ولكننا وبكل تجـــرد وبكل صدق نثبت أنه كان عضوا فعالا فى هذه الحركة المباركة ، وعقلا مدبرا لاغلب خطواتها وأعمالها بشهادة زملائه أعضاء الحركة الوطنية الذين عملوا معه فى هذه الفترة ، خصوصا وأننا نعلم مدى ديناميكيته ومدى ثقافته وسعة اطلاعه ، ومدى حبه لوطنه وعملـــه الدائب فى سبيل تحريره من ربقة الاستعمار ، واذا تتبعنا الاحداث نجد أنه بالاضافة الى هذه الاعمال قام بعدة تنظيمات جانبية لصالح توعية الشعب والشباب منه على الخصوص فى سبيل النهوض بالحركة الوطنية والسير بها قدما الى الامامنذكر منها على الخصوص تأسيسه لاول نقابـــة للعمال بفاس سنة 1935 وان كانت سلطات الاستعمار عملت على منعها ، ولكنه كان يعود لاحيائها فى كل مرة

كما أسس جماعات فلاحية وصناعية فى نطاق تقوية وتنشيط الاجهزة الوطنية عامة ، كما عمل بمساندة اخوانه على اقتلاع جذور الاضطراب التعليمى الذى كان سائدا فى جامعة القرويين حيث استحدثوا بها نظاما منيعا لم تجد الادارة الفرنسية بدا من الاعتراف به واقراره ، كما عمل على توطيد دعائم الثقافة وتركيـــز الوعى الوطنى المتـــوتب بتأسيس جمعيات لقدماء الثانويـــات العصرية كجمعية قدماء ثانوية مولاى ادريس بفاس التى كانت أولى هذه الجمعيات ، كما وجه عدة بعثات ثقافية ودراسية لتتميم الدراسات العليا فى الجامعات المصرية والعربية والتى كان لها دور ايجابى فى الدعاية للقضية المغربية فى أوساط الشعوب العربية الشقيقة ، كما عمل على انشاء جمعية المحافظة على القرآن الكـريم التى عملت على تطوير نظرة الناس الى الدين الاسلامى وتعاليمه ·

3 ــ مرحلة الكفاح ضمن الحزب الوطنى لتحقيق المطـــالب :

ذكرنا سابقا أن كفاح الاستاذ علال الفاسى فى الفترة بين 1930 و 1937 يتداخل مع كفاح «كتلة العمل الوطنى» تداخلا تاما وينسجم معه انسجاما شموليا بل هو جزء منه باعتبار أن الاستاذ علال هو فرد من جماعة «كتلة العمل الوطنى» · ونضيف هنا أن هذا الطابع ، طبع عمله وكفاحه حتى فى المرحلة الموالية لهذه اى مرحلة العمل ضمن اطار «الحزب الوطنى لتحقيق المطالب المغربية» الذى عمل على

تأسيسه بعد ايقاف وحل كتلة العمل خصوصا وأن الحزب الوطنى هو امتداد لكتلة العمل الوطنى برجالها وأفكارها وأطرها وعقيدتها حيث أن أفراد هذه الاخيرة رغم صدور قرار التوقيف واصلوا كفاحهم وواصلوا اجتماعاتهم واتصالاتهم بالفروع والانصار ، بل زادت شعبيتهم اسهاما فى سوق السياسة فى المغرب وفى ميدان الحركة الوطنية ، وتكاثر تأسيس الفروع فى كل النواحى ، كما والوا اصدار جرائدهم ونشراتهم على غرار ما كان سابقا . وبعد فترة وجيزة قرروا تأسيس حزب جديد يشرف على تسيير شؤون الحركة الوطنية ويكون خلفا للحزب الموقوف ، فعين لذلك وفد يتصل بالمقيم العام الفرنسى «نوجيس» من أجل استصدار الاذن منه لهذا الغرض ، ولكن المقيم العام امتنع عن مقابلة هذا الوفد وطلب منه أن يقدم اليه المشروع كتابة ليدرسه ويقوم بالرد عليه ، فقرر الوطنيون قطع العلاقة مع الاقامة العامة وتوجيه وفد الى باريس من أجل هذه الغاية حاملا معه تقريرا مفصلا عن مهازل الجنرال «نوجيس» وضعف عزيمته واستهتاره بالامور . فاستقبل الوفد من طرف وكيل وزارة الخارجية الفرنسية للشؤون المغربية الذى وعد أعضاءه بالعمل على تحسين الاوضاع . وهذه خطوة أرادت الحركة الوطنية بواسطتها أن تهيىء المسؤولين بفرنسا والمغرب لتقبل الخطوة الجديدة التى ستقدم عليها وهى تأسيس حزب جديد خلفا للحزب المنحل . فقد عقد أفراد الكتلة والوفد لازال بباريس يوالى اتصالاته ، عقدوا مؤتمرا عاما يمثل جميع فروع الكتلة فى أبريل 1937 بمدينة الرباط واتفق الحاضرون على اطلاق اسم جديد على حركتهم هو «الحزب الوطنى

لتحقيق المطالب المغربية» الذى يعد امتدادا لبرامج الكتلة وخططها وغاياتها وقد وقع الاعلام عن تأسيس الحزب الجديد فى جريدة «المغرب» كما أعيد فتح المركز العــام بفاس ، ولكن السلطات الاستعمارية تحركت من جديد تريد القضاء على هذا المولود الجديد فى المهد ، فاستدعت الاستاذ علال الفاسى بصفته رئيسا للحزب ، ودارت مناقشة عقيمة بينه وبين حاكم ناحية فاس حول شكلية هذا الحزب وتنظيمه وأهدافه وعلاقته بكتلة العمل الوطنى المحضورة (1) استطاع الاستاذ علال خلالها ان يرد على جميع الاتهامات وأن يوضح جميع النقط وأن يحصل من ممثلى الحماية على حق الاعتراف بهذا الحزب الجديد والسماح له بمزاولة نشاطه شرط أن يغير مركزه العام من الدار التى كانت مركزا عاما لكتلة العمل الوطنى الى مركز آخر وأن لا يطالب المنخرطين الجدد فيه بأداء القسم اثنــاء الانخراط ·

وهكذا استأنف الحزب الوطنى أعماله محتضنا كل أعضاء الكتلة وأنصارها عاملا على تأسيس الفروع والشعب فى سائر البوادى والحواضر ، بل وصلت الفروع الى المناطق البربرية التى كانت محظورة ، وأخذ البربر يعملون فى اطار الحركة الوطنية بشكل فعال · وكذلك استمرت جريدة «الاطلس» فى الصدور وصدرت عدة جرائد جديدة بالفرنسية

---

(1) للاطلاع على ما جرى فى هذه المحادثات يرجع الى كتاب الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى ، ص : 196 ·

ـرعان ما كانت الاقامة العامة تمنعها . كما أسست لجنة تنفيذية للحزب الجديد ومجلس وطنى وفروع وخلايا تضم جميع المواطنين السابقين ، وأشرفت اللجنة التنفيذية على تأسيس عدة لجان فنية تابعة لها تقوم بدراسة المشاكل والسهر على تنفيذ ما يوكل اليها من مهـــام ، واهم هذه اللجـــان :

1 ــ لجنة التعليم
2 ــ لجنة الاصلاح الدينى والاجتماعى
3 ــ لجنة الاغاثة الوطنية
4 ــ لجنة التقـــويم الخلقى
5 ــ لجنة الصحافة
6 ــ لجنة الدعاية والنشر
7 ــ لجنة الشباب الوطنى
8 ــ لجنة حماية فلسطين والاماكن المقدسة
9 ــ لجنة الشؤون الاقتصادية

وقد عمل الحزب الوطنى برئاسة الاستاذ علال الفاسى وبواسطة هذه اللجان على بناء عدة مدارس فى مختلف المدن والقرى وعلى تنظيم جامعة القرويين تنظيما صحيحا ، وقام بدعوة واسعة النطاق لتعليم البنات واشراكهن فى تقـــدم البلاد ودعا كذلك لتوجيه بعثات الى مصر والخارج وأراد أن يؤسس «جمعية أصدقاء الطلبة» لتكتيل الشعب والطلبة فى خط واحد ولكن الحماية رفضت ذلك .

كما عمل الحزب من الناحية الاجتماعية على حصر ساعات العمل فى ثمانى ساعات ورفع اجور العمال وتخصيص

يوم العطلة الاسبوعية ، وهذه الخطوات كلها تدخل فى اطار تكوين حركة نقابية بالمعنى الصحيح ، ولكن السلطات الاستعمارية التى سمحت بتأسيس فروع للاتحاد النقابى الفرنسى بالمغرب لم تسمح بتكوين نقابات للعمال المغاربة . كما نظر الحزب الى حالة الصناعة المغربية فألف رجالها ودعاهم لخلق روح تعاونية بينهم ودافع عن مصالحهم دفاعا قويا . كما قام الحزب بتنظيم الشبيبة المغربية ضمن فرق رياضية وجمعيات كشفية وفرق مسرحية وغيرها .

هذه بعض أعمال الحزب الوطنى خلال فترة اشرافه على تنظيم الحركة الوطنية فى المغرب ، وهى كما تظهر لاول وهلة تنفيذا لمخططات كتلة العمل الوطنى وسيرا على نهجها السابق . وقد وقعت أحداث مهمة خلال هذه الفترة نذكر منها محاولة المعمرين الفرنسيين خلال سنة 1936 التى عم فيها القحط والجفاف سائر ربوع المغرب، حاولوا الاستيلاء على مصادر المياه للاستفادة منها فى رى أراضيهم التى اغتصبوها من أصحابها الشرعيين ومعاضدة سلطات الاستعمار لهم فى ذلك ، ولكن الوطنيين بواسطة حزبهم وقفوا فى وجه هؤلاء المستعمرين سواء فى ناحية مراكش حين حاول هؤلاء الاستبداد بوادى «ايمور» فقاموا بمظاهرات عنيفة ومعارضة شديدة تم معها ارضاء أهل القبيلة . أو فى ناحية فاس حين أراد المستعمرون الاستيلاء على الماء الذى يسقى أراضى قبيلة بنى يزغة حيث قاوم الوطنيون مقاومة عنيفة هذه العملية ونشبت معارك دموية بينهم وبين جيش الاحتلال ، قتل أثناءها كثير من الرجال العزل وهتكت الاعراض ونهبت البيوت والمواشى .

وفى نهاية غشت 1937 أصدرت ادارة الاشغال التابعة للاقامة العامة أمرا بتحويل ماء «أبى فكران» الذى يروى مكناس ونواحيها بالماء الصالح للشرب لصالح بعض المعمرين الفرنسيين ، فوقعت مظاهرة كبيرة اعتقل أثناءها كثير من الوطنيين وسقط آخرون صرعى برصاص المستعمرين ثم تبعها اضراب عام فى مدينة مكناس يوم 8 نونبر 1937 فمظاهرات تضامنية نظمها الحزب ثم اعلان الاضراب العام فى سائر المدن المغربية احتجاجا على سياسة القمع التى اتبعتها الاقامة العامة .

وفى 24 شتنبر 1937 قام السيد «رامادييى» وزير الاشغال العامة فى الحكومة الفرنسية بزيارة لمدينة مراكش فاستغل اعضاء الحزب الوطنى هذه الفرصة ليظهروا له مدى الشقاء والبؤس الذى يعيش فيه المغاربة بسبب السياسة العقيمة التى تتبعها الاقامة العامة بالمغرب ، فاحتشد أكثر من خمسة آلاف من البائسين الجائعين نساء ورجالا وأطفالا وأخذوا يهتفون بسقوط الحماية وأحاطوا بالوزير الفرنسى الذى لم يجد مخلصا منهم الا بعد أن ترك فى أيديهم قطعا من جبته وسرواله ، واستمرت المظاهرات أياما أخرى الى أن فرقها الجنود الذين أخذوا يطلقون النار على المتظاهرين فجرح منهم عشرات واعتقل كثيرون ، منهم خمسة أعضاء من فرع الحزب بالجنوب ، فنظم الحزب عدة مظاهرات تضامنية مع المناضلين المراكشيين فى عدة مدن كالدار البيضاء وفاس .

ومن جملة الحوادث أيضا أن الحماية أرادت أن تبعث نوعا جديدا من السياسة البربرية حيث أنها منعت اقامة

.وسم اسلامى ، كان يقام عادة فى قبيلتى زمور وزيان . فى حين عملت على اقامة حج رسمى للقديسة «سانت تيريز» راعية الدعاية الكاثوليكية فىمدينة بربرية هى الخميسات فاحتج الحزب الوطنى لدى الاقامة العامة بواسطة رسالة رسمية ، كما نظم فرع الحزب بالخميسات مظاهرة كبيرة احتجاجا على السياسة البربرية الجديدة احتشد فيها آلاف المتظاهرين داخل المسجد الكبير بالخميسات ثم انطلقوا منه عبر شوارع المدينة مما جعل المقيم العام «نوجيس» يتوجه بنفسه الى عين المكان فى محاولة منه للقضاء على هذه المظاهرة الشعبية وتفريقها ، واستعان على ذلك بفيلق من الفيف الاجنبى مما أدى الى وقوع صدام مسلح بين الجيش وبين المتظاهرين نتج عنه عدة قتلى وجرحى ، كما ألقى القبض على مئات من رجال البربر ومن بينهم أعضاء مكتب الفرع بالخميسات ، وقد أثر توالى هذه الاحداث وغيرها فى نفس المقيم العام الجنرال «نوجيس» وموظفيه الى حد نفدوا معه كل بداهة وتدبير فاشتدت مهاجمتهم للوطنيين فى جميع أنحاء البلاد وضاقوا ذرعا بالصحف الوطنية فقرروا منع جريدة «الاطلس» لسان الحزب الوطنى ، وفكروا فى وضع رقابة على الصحف الاخرى قبل طبعها وصدورها مما جعل رجالها يقررون احتجاب صحفهم تضامنا مع جريدة «الاطلس» واحتجاجا على الرقابة المفروضة .

لقد كانت هذه الحوادث وأمثالها عنوانا على اهتمام الحركة الوطنية بالدفاع عن حقوق المغاربة افرادا وجماعات، كما أظهرت الحزب الوطنى بمظهر عظيم تجلى فى جهاده المستميت من أجل الحريات الديموقراطية ، وكفاحه فى

سبيل الدفاع عن الطبقات المستضعفة من الشعب من خلال دعايته للمطالب المغربية فى الداخل وفى الخارج ، وتوحيد جميع طبقات الامة حولها . وقيمته فى أنه لم يحصر عملـه فى الدفاع السياسى ، بل بذل جهودا جبارة فى سبيل تنظيم الجمهور وتربيته ، وتوجيه الجماعة المغربية نحو الحياة العصرية على أسس وطنية ودينية وقومية . ولكن كثرة الاعتقالات التى تعرض لها أنصاره وأعضاؤه فى جميع المناطق المغربية جعلت قيادة الحزب تفكر فى وسيلة أخرى لمتابعة الكفاح والعمل على اطلاق سراح المعتقلين وحل المشاكل التى يتخبط فيها المغرب فقررت عقد مؤتمر استثنائى لدراسة الموقف واتخاذ القرارات من أجل اتباع سياسة صريحة العداء لفرنسا وتصرفاتها بعد أن كان هناك نوع من التعاون وخصوصا مع بعض زعماء الحزب الاشتراكى الفرنسى الذين كانوا على رأس الحكم فى فرنسا . وفعلا انعقد المؤتمر بمدينة الرباط مساء يوم 13 اكتوبر 1937 افتتحه الاستاذ علال بخطاب توجيهى شرح فيه الحالة التى وصلت اليها البلاد ومدى الضغط والاضطهاد الاجنبى فى المغرب ، وبعد تدخلات ومناقشات شاركت فيها جميع وفود الاقاليم وفروعها ، قر رأى المؤتمرين على تحرير ميثاق وطنى أو «كناش المطالب» وتقديمه الى الدوائر المعنية ، وقد جاءت صيغة هذا الميثاق شديدة اللهجة بالنظر الى ما سبقه من وثائق المطالب ، وقد استهله واضعوه ببعض الحيثيات التى ارتكزوا عليها لذكر مطالبهم ، هذه الحيثيات التى تظهر مدى الاضطهاد الذى فرضته الاقامة العامة على الوطنيين وعلى المواطنين المغاربة عامة كحادث تحويل ماء «أبى

فكران» بناحية مكناس وما نتج عنها ، وحادثـــة الحج التبشيري لكنيسة «سانت تيريز» بالخميسات ، وحالات التوقيف أو الرقابة التي تفرض على الصحافة الوطنية ، بالاضافة الى شرح اضافي لعلاقة الحماية بالدولة المغربية والازمات المادية والمعنوية التي تسببت فيها الحماية . قلنا اتخذ الحزب في ميثاقه هذه الحيثيات منطلقا لذكر مطالب الحركة الوطنية وتصنيف القرارات التي اتخذها خلال هذا المؤتمر ، والتي تتلخص في الاستنكـــار الجماعي لانـــواع الاضطهادات المفجعة والاعتقالات الكثيرة في مدن مكناس وفاس ومراكش وقبيلة بني يزغة وجميع المناطق المغربية ، والاحتجاج الصارم ضد مقاومة الصحافة المغربية من طرف الحماية ، وضد عدم السماح للمغاربة بتأسيس جمعيـــات مغربية . ونحن اذا تتبعنا فصول هذا الميثاق نجد أنها تحمل مسؤولية هذه السياسة للروح الرجعية التي تعتمـــدها الحماية في سياستها العامة ، وفي الاخير نجد التزام المؤتمرين بمقاومة هذه الروح الرجعية وهذه التصرفات الجائرة بكل الطرق المشروعة الجدية ، وهم يعاهدون الله على تنفيذ محتويات هذا الميثاق ، حيث نجد الفصل الاخير منه يقول : « يعاهد المؤتمرون الله على تنفيذ محتويات هذا الميثاق ويعلنون استعدادهم لتقديم التضحية اللازمة لذلك » (1) . وهكذا نجد أن الحزب انتقل الى مرحلة العمل المباشر لمقاومة

---

(1) الحركات الاستقلالية في المغرب العربي للاستاذ علال الفاسي ص : 219 .

سياسة الاقامة العامة وعلى راسها الجنرال «نوجيس» وكذلك الدفاع عن الحريات العامة ·

وقد أحدث هذا الميثاق فزعا كبيرا فى دواليب الاقامة العامة التى بعثت مندوبا عنها الى باريس للتشاور فى الامر بعد ساعتين فقط من استيلامه ، ولعمل الترتيبات اللازمة لمجابهة الاحداث الجديدة ، ولينذر السلطات الفرنسية بازدياد الخطر ، وفى هذه المرة وقع الاجماع من طرف جميع الاحزاب والسلطة الفرنسية على قيمة هذه المطالب وقوتها، وعلى الوقوف ضد الوطنيين المغاربة خصوصا وان أوربا كانت فى ذلك الوقت تغلى مثل البركان وجيوش النازية تدك الارض وهى تستعرض قوتها المتحفزة لاكتساح العالم · وهكذا حصل الجنرال «نوجيس» على التأييد الكامل ليضرب ضربته القوية ضد مسيرى الحركة الوطنية وزعمائها · وهكذا وبعد مدة وجيزة من تقديم الميثاق ظهر رد فعل الاقامة العامة حيث أن حاكم ناحية فاس استدعى الاستاذ علال الفاسى باسم الاقامة العامة ليتباحث معه حول حل المشكلة حسب زعمه ، وان كان فى الحقيقة يريد تهديده · وفعلا وقع الاجتماع فى مكتب الحاكم اتسم حديث الاستاذ علال خلاله بالصراحة والغضب واتهام الاقامة العامة والحماية بالاضطهاد وخنق الحريات ، واستنكار أعمالها ضد الدين والوطن والانسانية الشىء الذى جعل المقيم العام يصدر قرارا بالقاء القبض على الاستاذ علال الفاسى رئيس الحزب الوطنى يوم 25 أكتوبر 1937 وعلى أعضاء من اللجنة التنفيذية هم الاساتذة محمد اليزيدى ، وعمر بن عبد الجليل ، وأحمد مكوار ، ونقلهم الى ميدلت حيث قضوا ليلتهم ثم نقلوا فى الصباح

الى قصر السوق ، حيث وضعوا فى زنزانات مقفلة فى الحصن العسكرى هناك ، تحت حراسة الجنود الفرنسيين وفى يوم 3 نونبر من نفس السنة نقل الاستاذ علال فى طائرة خاصة من قصر السوق الى الصحراء ومنها الى الغابون فى افريقيا الاستوائية حيث قضى هناك أزيد من تسع سنوات قبل العودة الى ارض الوطن .

الفصل الثالث

فترة النفي الى الكابون

وهنا نصل الى اهم مرحلة من مراحل كفاح الاستاذ علال الفاسى حيث أن هذه المرحلة التى تبتدىء فى سنة 1937 والتى كان الاستاذ علال خلالها مبعدا عن ارض الوطن ، وعن الاحداث التى تقع فيه ، وعن تطورات الحركة الوطنية والاستقلالية التى كانت تجرى فى المغرب بسبب سوء الحالة التى كان يعيش فيها ، وبسبب الخناق الضيق الذى فرضه عليه المستعمرون أثناء نفيه . هذه الحالة حولت فكره السياسى والوطنى وجعلته ينادى باستقلال المغرب جهارا واعتباره أساسا لكل تفاهم أو تعاون . لذلك اخذ يعمل بشتى الوسائل كما سنرى مستقبلا . وهناك ظروف عدة جعلت من مرحلة النفى هذه مرحلة مهمة او هى أهم مراحل كفاحه ، تتلخص فيما يلى :

1 ــ أن فترة النفى كانت طويلة ، وان النفى كان خارج المغرب وكان فى افريقيا التى كانت تعيش أحلك فتراتها

2 ــ ان النفى حدث فى المرحلة التى بلغ فيها النضج الفكرى للاستاذ علال مرتبة كبيرة ، فقد نفى وعمره نحو 27 سنة وعاد من المنفى وعمره نحو 36 سنة ولا تخفى أهمية هذه السنوات وهذه المرحلة فى نمو الشخص وتكوينه حيث تعتبر أهم مراحل التكوين والنضج والتطور .

3 ــ ان الفترة التى حدث فيها النفى كانت فترة حرب وكان هم القادة هو بناء عالم ما بعد الحرب وطبيعى أن تكون الفرصة مواتية لزعماء الشعوب المستعمرة كى يطالبوا باستقلال بلــدانهم .

4 ــ التحول الفكرى الذى طرأ على الاستاذ علال فى هذه المرحلة بعد ان تأكد من فشل التجربة الماضية فى

الكفاح تلك التجربة التى كانت تنطلق من مبدء واحد هو مبدأ التفاهم ع المحتلين ، والتى لم تزد المستعمرين الا تعنتا ضد شعوب البلدان المستعمرة ، مما جعله يفكر فى نهج طريق آخر الى أن اهتدى الى الطريق القويم الذى يتمثل فى المناداة بالاستقلال وجعله مبدأ أساسيا لكل تفاهم ، والعمل على بناء وترميم البلاد بشتى الوسائل ٠

ولابد لنا من الاشارة الى أنه يكون لزاما علينا عند التحدث عن هذه المرحلة من كفاح الاستاذ علال — وهو المقصود ببحثنا — أن نتابع ولو بشكل مختصر تطور الاحداث فى المغرب خلال هذه الفترة التاريخية لكى تكون مسايرتنا لاحداث نزيل الغابون داخلة ضمن الاطار العام الذى هو تطور الحركة الوطنية العامة ، ولنرى مدى التناسق الحاصل بين أعمال الاستاذ علال فى الغابون وبين أعمال الوطنيين فى المغرب ، وكيف أنهم يعملون جميعا من أجل هدف واحد هو الاستقلال كل واحد يدافع عنه ويعمل له بالوسائل الخاصة به ٠

تحدثنا فى الفصول السابقة عن أهم الاطوار التى قطعها الاستاذ علال فى كفاحه ضد المستعمر ، وعن أهم الاحداث التى طبعت أعماله وفكره ، وانتهينا الى أنه نفى فى 25 أكتوبر 1937 الى الغابون فى مجاهل افريقيا الاستوائية على اثر الامر الصادر عن الجنرال «نوجيس» المقيم الفرنسى العام بالمغرب مما تسبب فى قيام مظاهرات عنيفة واضطرابات عامة ، وتسبب فى أصطدامات عنيفة بين الوطنيين وبين الجيش الفرنسى الذى لم يأل جهدا فى قمع هذه المظاهرات وفى تقتيل الناس وتشريدهم واعتقالهم

وقد أصاب الحركة الوطنية فى المغرب نوع م ن الخمول بسبب اعتقال رؤساء الحزب الوطنى ونفيهم الى مختلف مناطق العالم ، ولم تسترد نشاطها الا بعد مدة ، حين لمت شتاتها مرة اخرى وبشكل اكبر منسابقه ، واقدمت على خطوة مهمة هى وثيقة الاستقلال التى قدم تمن طرف اللجنة الوطنية لحزب الاستقلال الذى اسس خلفا للحزب الوطنى سنة 1944 ·

ولنعد الى نزيل الغابون الذى ترك فى المغرب أبا محتضرا ، وابنة لا يزيد عمرها عن ستة أشهر لنصاحبه فى هذه الظروف العصيبة التى كان يعيشها بعد أن أنزل أولا فى قرية «انجولينى» بجنوب الغابون حيث أصيب فيها بمرض خطير ظل يعانى من آلامه مدة طويلة نقل بسببه الى قرية «مويلا» التى قضى بها أربعة وخمسين شهرا ·

وأول ملاحظة تبدو فى هذا الميدان هو أن مرحلة النفى هذه تنقسم الى قسمين رئيسيين سواء بحسب مكان النفى أو بحسب الاعمال الهامة التى قام بها الاستاذ علال فى منفاه وهذا هو المقصود ·

1 ـ القسم الاول ويبدأ منذ اعتقاله الى اعلان ثورة « دوكول » ويتسم بنوع من الركود حيث انه لم يكن بامكانه أن يقوم بأى عمل مهم سوى الاحتجاج على سوء المعاملة ، والمطالبة بحقوق المسجون السياسى ، وسوى بعض المحادثات العادية مع حراس السجن ، ولكن الهدنة الفيشية وثورة الجنرال «دوكول» أتاحت له السبيل لان يرفع صوت المغرب وان يبذل مجهودا كبيرا فى سبيله ،

وقد كان مركز اعتقاله فى هذه المرحلة هو قرية «مويلا» فى جنوب الغابون التى استمر اعتقاله بها الى يونيه 1941

2 ـ القسم الثانى ويتسم بالمطالبة بالاستقلال والعمل من أجله ويبدأ بقيام الثورة الدوكولية ضد الحكام الفرنسيين وعلى رأسهم «فيشى» وانقسام المستعمرات الفرنسية فى تبعيتها لدوكول وفيشى وقد احتلت جيوش دوكول خلال هذه الثورة قرية «مويلا» وجنوب الغابون فى يوليوز 1940 متجهة الى أحتلال العاصمة الغابونية «ليبرفيل» حيث أصبحت افريقيا الاستوائية فى هذا الوقت مركز الالتجاء الفرنسى ومركز تنظيم المقاومة ضد الاحتلال الالمانى الذى أخذ يغزو أراضى العالم كله ، حيث أرادت المانيا أن تعمل على تأسيس أمبراطورية تعتمد على التفوق الجنسى الآرى ، وتعتبر الشعب الالمانى أفضل شعب موجود فى العالم ، وحاولت بشتى الوسائل جلب الوطنيين فى المغرب وفى افريقيا الشمالية عموما الى صفها حيث أوعزت اليهم بالقيام بحركات ثورية ضد فرنسا التى تستعمرهم والتى كانت ضمن الحلفاء الذين يقاتلونها ، ولكن الوطنيين فى المغرب سرعان ما أدركوا هذه الحقيقة حيث استطاع الحزب الوطنى أن يشق الطريق لنفسه وسط الدعايات المختلفة ويقف موقف المؤيد لمبادىء الديموقراطية وبرهن على ذلك بذهاب عدد كبير من المجندين المغاربة للقتال فى صفوف فرنسا والحلفاء ضد ألمانيا النازية .

وكانت «برازافيل» هى العاصمة التى حلت محل باريس يسير دفتها وال فرنسى عام وتحت أمرته رئيس للعمالة هو الكمندان «روجى» الذى كان له اهتمام

بالسياسة العربية ودراية بها · وقد أتبع والى افريقيا الاستوائية سياسة خاصة مع الاوربيين الموجودين هناك تتلخص فى دعوتهم للانضمام الى الثورة الدوكولية وامضاء رسالة تأييد بذلك أو الاعتقال فى أماكن خاصة بأنصار «فيشى» · وطبيعى أن يستدعى الكومندان «روجى» الاستاذ علال ليستفسره عن رايه فى هذه الاحداث وليطلب منه مساندة الثورة الدوكولية واعدا اياه بتحسين الحال ومخبرا اياه بأن الثورة ستعمل على تغيير السياسة الاستعمارية الفرنسية المتخذة · وقد طلب منه أن يكتب رسالة الى الولاية العامة فى هذا الشأن ، ولكن الاستاذ علال تملص وقال له : « يمكنك أن تكتب بنفسك وتخبرهم بأنى كرئيس للحزب الوطنى لا أريد الا الوصول لما يصبوا اليه الحزب من تطور وتحرير » (1) ، وبعد مدة جرت مقابلة أخرى بينهما طلب خلالها الكومندان «رورجى» من الاستاذ علال أن يكتب رسالة الى دوكول يؤيد فيها ثورته ضد «فيشى» وقدم له مشروع رسالة على غرار الرسائل التى يكتبها الفرنسيون القاطنون هناك ، فكان جواب الاستاذ علال :

« أن قضية الخلاف الحادث بين «فيشى» ودوكول قضية فرنسية محض لا حق لى ولا لسائر المغاربة فى التدخل فيها ، نعم فيما يرجع لمقاومة الالمان يمكننى أن

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى ، ص : 236 ·

أؤكد أنه ليس فى المغاربة أحد يريد أن يصبح محكوما لالمانيا أو ايطاليا ، على انه من الوجهة المنطقية ما دامت فرنسا قد دخلت الحرب وما دام فى استطاعتها أن تقاوم فليس من الوفاء أن تخون حلفائها وتلقى بهم فى أحضان الالمان وتخيس بذممهم وهم فى أشد الحاجة اليها . واما فيما يخص القضية المغربية فأنا كممثل للحزب الوطنى ، أعتبرها قضيتى ، وأنا مستعد للتعاون مع الجنرال دوكول اذا كان راغبا فى أن يحقق أمانى الشعب المغربى ، ولذلك فمعرفتى بسياسة الثورة الديجولية فيما يخص فرنسا لا يكفينى ، بل يجب أن أعرف سياسة دوكول المغربية ، وحينئذ يمكننى أن أعمل على ضوء استنتاجاتى منها » (1) ؛ وذكر سوء حال المغاربة والمجهودات التى بذلها الحزب الوطنى فى سبيل التوفيق بين حاجيات البلاد وبين الصداقة الفرنسية ، فطلب منه الكومندان «روجى» أن يكتب هذه المعلومات فى رسالة يتكلف هو بابلاغها الى الجنرال دوكول . فكتب الاستاذ علال الى هذا الاخير رسالة سنة 1941 يقول فيها : « ان المغرب الاقصى المرغم على استمراره فى نظام العصور الوسطى ، والذى يرغب فى تطور شبيه بما وصلت اليه مصر والعراق لا يمكنه أن يقبل تجديد الاحتلال من ألمانيا أو ايطاليا ، وهو يعتقد أن حكومة حقيقية لفرنسا الحقيقية جديرة بأن ترضيه بتحقيق أمانيه القومية .

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى ، ص : 236 .

لست أريد أيها الجنرال أن أحدد فى هذه الرسالة مطالبا ولكنى أريد أن أؤكد أننى شخصيا لا ارغب فى جاه ولا مال ، وانما أرغب فى مصالح وطنى وحقوقه ، ورئيس الحرب الوطنى المبعد منذ خمسة أعوام لا يريد الا أن يعـــرف السياسة الجديدة ألتى ستدشنونها فيما يخص المغرب الاقصى ، اننى لا أمثل شيئا من ذاتى وانما قيمتى فيما أتمتع به من ثقة الشعب ، وفيما سأحمله لامتى من نتائج عملكم الرسمى . أن «ليوطى» الذى تحترمونه لم يرتكب أخطاء «نوجيس» وأمثاله وقد أعرب عن ندمه على كثير من انواع السياسة التى أتبعها بنفسه . ولقد أيد الكثير من الفرنسيين حركتنا ، فاذا كانت سياسة سعادتكم تتفق مع سياستنا نحن ، فانه من الممكن لى أن أفعل » (1) . وأعقب تسلم دوكول لهذه الرسالة فترة أنتظار وصفها الاستاذ علال بقوله : « وكان يبعث فى نفسى من الامل الشىء الكثير ، وان كنت أعرف أن الفرنسيين لا يتغيرون عن موقفهم ولو حدث من الوقائع أكثر مما حدث ، لانهم محافظون فى أفكارهم ومن الصعب أن يتطوروا بالسهولة التى تظن » (2) وبعدها أرسلت الولاية العامة مبعوثا عنها للتخابـــر معه باسم فرنسا الحرة فى شأن المغرب وسائر الشمال الافريقـــى

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى ، ص : 237 .

(2) نفس المصدر ، ص : 238 .

للعمل على منع احتلالهما من طرف الالمان وقد بين له الاستاذ علال استعداده للتوسط لدى الوطنيين التونسيين والجزائريين ، أما فيما يخص المغرب فقد أكد له باسم الوطنيين استعداده للعمل على تحرير المغرب من الضغط الالمانى ، متعاونا فى ذلك مع فرنسا الحرة ، ولكن بشرط واحد صريح هو أن يعلن الجنرال دوكول استقلال المغرب منذ ذلك الحين ، ثم بعد الاستقلال يشكل الملك حكومة وطنية تعمل على كسب صداقة فرنسا للمغرب وقد استمرت هذه المحادثات ثلاثة أيام أخبره بعدها بأنه سيرسل برقية لحكومة فرنسا الحرة يبلغه فيها خلاصة ما دار من نقاش . وقد بعث فعلا البرقية التالية : « تفاوضت مع الاستاذ علال الفاسى ، وهو يقبل التعاون مع فرنسا الحرة على تحرير شمال افريقيا من ضغط المحور بشرط الاعتراف الناجز باستقلال المغرب . والسيد علال الفاسى صريح ويتكلم فى استقامة ووضوح ويتمتع زيادة على نفوذه فى المغرب بثقة كثير من زعماء العرب » (1) . وفى الغد صدر أمر بتحويل مقر منفاه الى مدينة «برازافيل» عاصمة الكونغو الفرنسى لتتميم المذاكرة مع ادارة الشؤون السياسية . وهكذا اجتمع بمجرد وصوله بالكاتب العام للولاية وبمعيته عدة شخصيات فرنسية مدة ثلاث ساعات كان محور حديثه فيها هو ضرورة اعلان

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى ، ص : 239 .

استقلال المغرب لارجاع الثقة بفرنسا الى الوطنيين المغاربة . وقد اقام «ببرازافيل» مدة سبعة شهور لم يدع وقتا يمر خلالها الا واستغله فى سبيل التعريف بالقضية الغربية وشرح الظروف السياسية والحربية التى تملى على فرنسا منح المغرب استقلاله فى شتى المناسبات وفى جميع الاوساط السياسية الفرنسية الرسمية فى «برازافيل» والتى كانت منقسمة على نفسها خلال تلك الفترة الى فريقين :

1 — فريق يرى ضرورة التعاون مع الوطنيين والاستفادة من قوتهم واعطاء المغرب استقلالا نوعيا يرضى المغاربة ويضمن للفرنسيين مصالحهم .

2 — فريق يرى ترك الوطنيين والاستغناء عن كل مساعدة ترجى منهم لانها تتطلب من فرنسا تقديم تضحية ليست هى فى حاجة اليها .

وطبيعى ان تضيع المصالح وسط هذا الخضم من النزعات والافكار المختلفة .

وفى يوليوز 1941 وصلت برقية من الجنرال دوكول الى الولاية العامة يقول فيها : « لقد درست قضية الفاسى والمغرب وسأحمل معى الملف الى برازافيل » (1) .

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى . ص : 239 .

وفعلا حضر الجنرال «دوكول» وبرفقته سفير فرنسا الحرة فى اثيوبيا الذى سبق له ان اشتغل بالاقامة العامة فى المغرب والذى طلب مقابلة الاستاذ علال وأخبره بأن الجنرال حدثه فى الطائرة وطلب منه أن يجتمع به ويتذاكر معه ، ودار بينهما حديث عبر عنه الاستاذ علال بقوله :
« وقد تحدث فى موضوع مهم ، فعبرت فيه عن أفكارى فى ضرورة استقلال البلاد بكل صراحة ووضوح ، وفهمت من حديثه أن رأيه لا يتفق مع الاستقلال ولكنه مع القيام باصلاحات عملية ومفيدة » (1)

وبعد نزول آلحلفاء فى افريقيا الشمالية طلبت وزارتا الخارجية الامريكية والانجليزية من الجنرال دوكول اطلاق سراح الاستاذ علال رسميا وقبول شرطه الذى هو اعلان الاستقلال ، فكان رد الحكومة الفرنسية على لسان الكاتب العام للولاية الذى قال للاستاذ علال : « ان الجنرال دوكول غضوب مثلكم ، فقد كان يريدوضع حل للقضية المغربية باتفاق معكم ، ولكن طلب الانجليز والامريكان اطلاق سراحكم واعلان استقلال المغرب ، أحدث فى نفسه تخوفا وبعث فيه روح الرجل الذى لا يحب أن يعمل تحت الضغط » (2)

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى ص 240 .
(2) نفس المصدر ص 241 .

مما تقدم يتبين لنا مدى اهتمام الاستاذ علال باستقلال المغرب حتى فى أحرج الظروف التى هى ظروف المنفى ؛ بحيث أنه لم يأل جهدا فى التعريف بالقضية المغربية وجلب الانظار اليها ، وكسب العاطفين عليها سواء عن طريق محادثات مع المسؤولين الفرنسيين أو عن طريق مكاتباته واتصالاته . وفى هذا الوقت الذى كان فيه الاستاذ علال الفاسى فى منفاه والحرب العالمية الثانية على اشدها وقعت حادثة اختلاق وفاته من طرف المانيا الهتليرية التى أرادت خلق مشاغبات لفرنسا فى مستعمراتها وخصوصا المغرب ، فأذاعت من محطة برلين نبأ وفاة الزعيم علال الفاسى ، مما جعل الشعب فى المغرب يندهل ، وكاد أن يصدر عنه هياج وانفجار لولا أن سارعت الاقامة العامة الفرنسية فى المغرب بتكذيب الخبر وابلاغه للاطر المسؤولة فى الحزب .

هذه اهم الاحداث التى عاشها الاستاذ علال فى منفاه بالغابون بعيدا عن كل اتصال خارجى ، وبعيدا عن جميع مظاهر الحياة العامة ، حتى انه لم يسمح له بمطالعة الصحف أو الاستماع للاذاعة ، بالاضافة الى منع الزيارات العائلية وغيرها طيلة ابعاده . وكانت صراحته فى الذود عن حرية بلاده سببا فى تمديد نفيه أربعة أعوام أخرى قضاها فى نظام اضيق من سابقه ، وكان يقيم خلالها فى دار صغيرة مبنية بهندسة الاسلوب الاستعمارى ، متعرضا لشتى المضايقات لا يبارحها الا لماما وتحت حراسة مشددة لا يباح لاى أحد أن يحادثه أثناءها أو حتى ان يقترب منه ، بالاضافة الى

الجو الحار الذى كان يسود تلك المنطقـــة الاستوائية ·
وأهم ما يدلنا على تلك الحالة المزرية التى كان يعيشـها ، مكاتباته للسيد أحمد مكوار أحد أعضاء الحزب التى ابتدأت سنة 1942 بعد وفاة والده ، وبعد رفع الحظر الذى كان مفروضا على مراسلاته ، حيث أن هذه المكاتبات تدل على أنها كانت خاضعة لمراقبة استعمارية شديدة ، كما تدل على أنه هو نفسه كان خاضعا لمراقبة أشد ، لخلوها من أى خبر عن ما كان يجرى خارج قرية «مويلا» سواء فى أرض الوطن أو فى غيرها من بقية أقطار العالم ، فقد أرسل برقية الى السيد أحمد مكوار باللغة الفرنسية — وهذا يدل على تعلمه هذه اللغة أثناء منفاه — مؤرخة فى 22 غشت 1942 يوكله فيها على تركة والده بعدما وصله نعيه هذه ترجمتها العربية :

« الى السيد أحمد مكوار — بفاس — درب الروم
وكلت السيد أحمد مكوار توكيلا عاما فيما يتعلق بتركة والدى ·
أقدم عزائى للاسرة خصوصا زهراء ·
فى رغبتى أن تسكن زوجى مع أبيها فى دار والدى ·
اعتنوا بتعليم ليلـــى
عليكم جميعا بالصبر الجميل » (1)

وبعد هذه البرقية أخذت المراسلة بينه وبين السيد احمد مكوار تأخذ نوعا من الانتظام ، فنجد فى 10 شتنبر

---

(1) جريدة «فاس» العدد 15 يونيه 1971 ·

1944 رسالة بعثها اليه يهنئه فيها بعد أن أخبره باطلاق سراحه ويستفسره عن أحوال العائلة الصغرى والكبرى وأخرى فى 8 أبريل 1945 فى نفس المعنـــى · وكل هذه الرسائل تدل على مدى ما كان يعانيه من آلام وأمراض فى معدته وكبده ، وما كان يعانيه من مضايقة سواء فى الشغل أو فى المحادثة أو المراسلة أو المطالعة كذلك ، وبقى على هذا الحال الى أن تم له السماح بالرجوع الى أرض الوطن فى يونيه 1946 ، ففى 26 يونيه رجع الى مدينة فاس ليجد جميع السكان فى انتظاره يهتفون بحياته وينشدون النشيد الرسمى لحزب الاستقلال هذا الحزب الذى لم يعـــرف الاستاذ علال بتأسيسه الا فى الطائرة التى أقلته من المنفى الى أرض الوطن ·

وبعد ، ماذا نقول عن هذه المرحلة من الكفاح وعن مدى تأثيرها فى شخصية الاستاذ علال الفاسى ، يمكن القول أن أكبر مميزات الاستاذ علال أنه لم يكن وطنيـــا فحسب ، ولا سياسيا فحسب ، ولكنه كان الى جانب ذلك مفكرا ، ولذلك كانت مرحلة النفى هذه مرحلة تحول فكرى لهذا الرجل ، فما هى مظاهر هذا التحول :

1 ـــ المظهر الاول والاساسى أنه آمن بأن الاستقلال هو الوسيلة الوحيدة لتحرير المغرب وبنائه ـــ وأبعد الفكرة التى كانت سائدة من قبل والتى تقول بأن الوقت لازال لم يحن بعد للاستقلال · فلهذا نجد أنه طالب باستقلال المغرب وهو فى المنفى وحيدا مبعدا عن عالم اخوانه وعن الشعب الذى يستمد منه الفكر الوطنى اتجاهه ومطالبه ، وقدم

مذكرته وحاول أن يقابل «دوكول» يوم كان رئيسا للجنة تحرير فرنسا ليعرض عليه فكره متذرعا بنفس الافكار والمبادىء التى كان يحملها دوكول فى سبيل تحرير وطنه فرنسا ·

2 — المظهر الثانى ويتمثل فى ان افقه انفتح على عالم اوسع ، فبدأ يفكر فى الغرب العربى وفى افريقيا عموما ، ولكن تفكيره فى المغرب العربى كان أقوى ، فقد أدرك أثناء النفى أن العمل الفردى سواء من أجل التحرير أو البناء لا يمكن أن ينجح اذا لم يعاضده العمل الجماعى فى اطار المغرب العربى ، خصوصا وأن الاستعمار واحد فى أقطاره الثلاثة ، وهذا ما سيظهر فى اعماله بعد رجوعه من المنفى حيث عمل على الدفع بالحركة الدستورية فى تونس لكى تصبح حركة استقلالية ، كما ساهم فى تكوين جيش التحرير الجزائرى وتنظيم الثورة الوطنية الجزائرية بنفس الروح التى عمل بها فى تنظيم المقاومة وجيش التحرير المغربى ·

3 — المظهر الثالث ويتمثل فى تكوين الفكر البنائى لدى الاستاذ علال الفاسى الى جانب فكر المقاومة للاستعمار ، فقد اتسع افق تفكيره حتى أصبحت قضية الاستقلال امرا مفروغا منه ، ولذلك وجب التفكير فيما بعد الاستقلال وهو البناء ، كما وجب التفكير فى المغرب على اساس أنه جزء من عالم متشابك هو ما أصبحنا نطلق عليه اليوم فى العرف الدولى «العالم الثالث» وعلى اساس هذه الشمولية بدأ الاستاذ علال يحلل مشاكل هذا العالم الفكرية والاقتصادية·

هذه أهم التطورات التى طرات على فكر الاستاذ علال الفاسى وعلى شخصيته ، وهذه أهم الاحداث التى قادها الاستاذ علال خلال منفاه بالغابون ، وخلال ابعاده عن تيار الحركة الوطنية واحداثها التى كانت تجرى فى ارض المعركة ، أرض المغرب ، ولابد لكى نربط الاحداث ببعضها أن نرجع ولو بشكل مختصر الى أهم الاحداث التى وقعت فى المغرب فى هذه الفترة لنرى مدى التناسق والتكامل الحاصل بين الاحداث فى المغرب ومثيلاتها فى الغابون .

لقد كان لذيوع نبأ اعتقال الاستاذ علال وبعض اعضاء لجنة الحزب الوطنى صدى عميق فى أوساط الوطنيين والشعبيين على السواء ، حيث قامت مظاهرات كبيرة فى جل مدن المغرب ، ووقعت اصطدامات دامية بين الوطنيين والجيش الفرنسى قتل وجرح واعتقل على اثرها خلق كثير ، وامتدت هذه الحركة الى المنطقة الخليفية حيث قامت مظاهرات كبرى فى تطوان تهتف بالحرية وبحياة وحدة المغرب ، واحتشد الناس فى المساجد ، وأقفلت الاسواق والمتاجر ، وكذلك كان الشأن فى بقية المدن الشمالية ، بل تعدت هذه الحركة حدود المغرب الى بقية أقطار المغرب العربى حيث وقعت تجمعات وحركات شعبية فى كل من الجزائر وتونس ، ووقع اضراب عام فى هذين البلدين مدة ثلاثة أيام ، وقد استمرت المظاهرات بمختلف جهات المغرب عدة أسابيع كانت السلطات الفرنسية خلالها مثال الشدة فى القمع والوحشية ، واعقب المظاهرات اعمال ارهابية فى كل انحاء البلاد تمثلت فى مهاجمة ادارات الصحف الاجنبية ومستودع البترول بمكناس ، ونسف مستودع الاسلحة

بمدينة القنيطرة ، وغير ذلك مما يدل على هياج الشعب وانفعاله وتأثره بالاحداث خصوصا بعد أن اقفل مركز الحزب بمدينة فاس الذى احتلته القوات الفرنسية ، وقد ظن الجنرال «نوجيس» أنه بهذه الاعمال انتقم من الوطنيين ومن الحركة الوطنية المغربية ، وأنه تم له القضاء عليها ، فزار مدينة فاس والدم لا زال يجرى بها والشعب فى مظاهراته حيث أعلن فى ندوة صحفية يوم 31 أكتوبر 1937 أنه لن يغض الطرف أبدا عن الوطنيين وقال : « انى أعلم جيدا الآن أن لى تأييد جميع الاحزاب الفرنسية التى ادركت مقدار الخطر ، والتى رأت شيئا فشيئا أن برنامج الثورة قاد فى شهر واحد باسم (الحزب الوطنى) الى اثارة البلاد كلها من أقصاها الى أقصاها ، ولكى نقضى على خطط الوطنيين كان واجبا أن نستعمل — متى لزم — قوة جيشنا ، ان هذه قضية سلامة عامة ، اذن فقد قمنا بواجبنا واستعملنا القوة وسنستمر فى استعمالها » (1) ٠

هكذا شهد الجنرال فى تصريحه بقوة الثورة الوطنية وشمولها تحت قيادة «الحزب الوطنى» الذى عرف كيف يجند الشعب كله على صعيد واحد للدفاع عن حقوق الامة وحرية افرادها ٠

وقد أعقب هذه القلاقل فترة هدوء ظاهرى استمرت اثناءها خلايا الحزب فى العمل والاستمرار فى التقدم ، وأصبح

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى ٠ ص : 222

الوطنيون يعرفون باسم «الحزبيين» وزاد فى تنظيم الحركة وتقدمها رجوع الاستاذ محمد اليزيدى الى صفوفها بعد أن أطلق سراحه ، حيث أخذ يسير دفة الحزب والحركة الوطنية بلباقة ودهاء كبيرين ، ولا يترك فرصة للعمل تمر دون أن يستغلها هو وباقى الوطنيين للتنديد بالاعمال الوحشية التى ارتكبتها وترتكبها السلطات الاستعمارية فى المغرب ، وقد كون الطلبة الموجودون فى فرنسا جمعية أسموها « هيأة الدفاع عن المغرب الاقصى » للدعاية لمبادىء الحزب وأفكاره ، ولم يتركوا مؤتمرا الا وأعلنوا فيه صوت المغرب عاليا ، كما قامت بعثة الطلبة المغاربة فى مصر بحركة طيبة لصالح القضية المغربية فى المشرق العربى ، وبعثها من جديد بعد أن كانت قد دخلت فى طى النسيان والخمول .

بقى الحال هكذا : خنق للحريات العامة واعتقال وتنكيل من طرف طائفة من الحكام الذين لا يخضعون لاية مراقبة ، قلنا بقى الحال هكذا حتى اعلان الحرب العالمية الثانية سنة 1939 حيث كان المغرب وعلى رأسه الحزب الوطنى وجلالة الملك يمثل الصديق الوفى الدائم لمبادىء الديموقراطية التى تدافع عنها فرنسا ضد الاحتلال الفاشستى سواء فى بداية الحرب أو اثناء الهدنة الفيشية وحتى بعد نزول الحلفاء بالمياه المغربية يوم 8 نونبر 1943 ، ولم تجد محاولة الالمان فى جلب رجال الحزب الوطنى لصفوفهم شيئا، رغم تبشيرهم للوطنيين بقرب الظفر الالمانى الذى يفسح المجال لنيل المغرب نظاما أكثر حرية وعدلا من سابقه حيث استطاع الحزب الوطنى أن يتعرف على الحقيقة وسط هذه الدعايات المختلفة وأن يقف موقف المؤيد لمبادىء الديموقراطية

فى الوقت الذى يدافع فيه عن المغرب وعن حريته · ولكن الاقامة العامة قابلت هذا الموقف العظيم الذى اتخذه الوطنيون لصالح فرنسا والحلفاء بسياسة القمع واعلان الاحكام العرفية واتهام الابرياء واعتقال رجال الحركة الوطنية مما وجه تفكير هؤلاء الى العمل على ضرورة الخروج من نظام الحماية والبحث عن وسائل التحرر والانعتاق ، وتغيير سياسة المراحل بسياسة العمل الفعلى الجاد من أجل الاستقلال العاجل الناجز والذى ساعد على اذكاء هذه الفكرة فى نفوس الوطنيين أجواء الحرب المسيطرة واعلان وثيقة الاطلسى ، ونزول الحلفاء بالمغرب ، واستقلال سوريا ولبنان ، وعدم التوصل الى أية نتيجة رغم التعاون الذى كان حاصلا بين الوطنيين والاقامة العامة · وللحصول على هذه الحقوق التى تتمثل فى الاستقلال عمدت اللجنة التنفيذية للحزب الوطنى الى عقد مؤتمر عام تم يوم 11 يناير 1944 بمدينة الرباط ونتج عنه تأسيس حزب جديد يعوض الحزب الوطنى هو «حزب الاستقلال» مهمته الاولى هى العمل من أجل الاستقلال · وقد تكتلت فى هذا الحزب الجديد جميع طبقات الامة على اختلافها · وكان أول عمل ايجابى وحاسم قام به أعضاء هذا الحزب الجديد هو تقديم وثيقة الاستقلال لجلالة الملك ولممثلى فرنسا وحلفائها · وهذا نص الوثيقة :

« ان حزب الاستقلال الذى يضم أعضاء الحزب الوطنى السابق وشخصيات حرة ·

حيث أن الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية ، وحافظت على استقلالها ثلاثة عشر قرنا الى أن فرض عليها نظام الحماية فى ظروف خاصة ·

وحيث أن الغاية من هذا النظام والمبرر لوجوده ، هما ادخال الاصلاحات التى يحتاج اليها المغرب فى ميادين الادارة والعدلية والثقافة والاقتصاد والمالية والعسكرية دون أن يعبث ذلك بسيادة الشعب المغربى التاريخية ونفـــوذ جلالة الملك .

وحيث أن سلطات الحماية بدلت هذا النظام بنظام مبنى على الحكم المباشر والاستبداد لفائدة الجالية الفرنسية ومنها جيش الموظفين الذى لا يتوقف المغرب الا على جزء يسير منه ، وانها لم تحاول التوفيق بين مصالح مختلف العناصر فى البلاد .

وحيث أن الجالية الفرنسية توصلت بهذا النظام الى الاستحواذ على مقاليد الحكم ، واحتكرت خيرات البلاد دون أصحـــابها .

وحيث أن هذا النظام حاول بشتى الوسائل تحطيم الوحدة المغربية ومنع المغاربة من المشاركة الفعلية فى تسيير شؤون بلادهم ومنعهم من كل حرية خاصة أو عامة .

وحيث ان الظروف التى يجتازها العالم هى غير الظروف التى أسست فيها الحماية .

وحيث أن المغرب شارك مشاركة فعالة فى الحروب العالمية بجانب الحلفاء ، وقام رجاله أخيرا بأعمال أثارت اعجاب الجميع فى فرنسا وتونس وصقلية وكورسيكا وايطاليا وينتظر منهم مشاركة اوسع فى ميـــادين أخرى وبالاخص لمساعدة فرنسا على تحريرها .

وحيث أن الحلفاء الذين يهرقون دماءهم فى سبيل الحرية اعترفوا فى « وثيقة الاطلسى » بحق الشعوب فى حكم نفسها بنفسها واعلنوا اخيرا فى مؤتمر طهران سخطهم على المذهب الذى بمقتضاه يرغم القــوى حق الاستيلاء على الضعيف ٠

وحيث أن الحلفاء أظهروا فى شتى المناسبات عطفهم على الشعوب الاسلامية ومنحوا الاستقلال لشعوب غيرها منهاما هو دون شعبنا فى ماضيه وحاضره ٠

وحيث أن الامة المغربية التى تكون وحدة متناسقة الاجزاء وتشعر بما لها وما عليها من واجبات داخل البلاد وخارجها تحت رعاية ملكها المحبوب وتقــدر حق قدرها الحريات الديموقراطية التى توافق فى جوهرها مبادىء ديننا الحنيف والتى كانت الاساس فى وضع نظام الحكم بالبلاد الاسلامية الشقيقة ٠

قــرر ما ياتى :

1 — فيما يرجع للسياسة العامة :

اولا : أن يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد ابن مولانا يوسف نصره الله وأيده ٠

ثانيا : أن يلتمس من جلالته السعى لدى الدول التى يهمها الامر للاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه ٠

ثالثا : أن يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على ميثاق الاطلسى والمشاركة فى مؤتمر الصلح ٠

2 ـ فيما يرجع للسياسة الداخلية :

رابعا : أن يلتمس من جلالته أن يشمل برعايته حركة الاصلاح الذى يتوقف عليها المغرب . (1)

فاذا أردنا أن نعرض للخطوط الرئيسية التى رسمها هذا الميثاق نجدها تتلخص فى كون نظام الحماية هو نظام مفروض على المغرب فى ظروف استثنائية ، وأن معاهدة الحماية لم تطبق وخرقها واضعوها لفظا ومعنى ، فأصبحت السيادة المغربية غير ملموسة الوجود وتقوت مصالح المستعمرين الاوربيين ، وتأخر تطور العناصر المغربية ، الشىء الذى ينتج عنه المطالبة بالاستقلال والوحدة التامة لجميع المناطق المغربية ، وتكوين نظام ديموقراطى يضمن حقوق سائر العناصر والطبقات التى تتكون منها الامة المغربيـة .

وهذا الميثاق يرشدنا مرة اخرى الى تناسق العمل الوطنى فى جميع الواجهات ويدلنا على تبلور الفكر الوطنى لدى جميع رجال الحركة الوطنية وتطوره رغم التباعد الجغرافى الموجود بين الوطنيين فى المغرب وبين زعيم الحزب فى الغابون وبين جماعة الوطنيين الشباب فى مصر والشرق ورغم الظروف القاسية والمختلفة التى يعيشها كل فريق على حدة . ولكنهم اجتمعوا واتحدوا حول نقطة واحدة هى ضرورة المطالبة بالاستقلال جهارا ، وقدمت فى شكل رسالة

---

(1) جريدة العلم العدد : 6.807 ـ 11 يناير 1969 .

من طرف زعيم الحزب الاستاذ علال فى الفابون ، وتقدمت فى مصر من طرف «رابطة الدفاع عن مراكش فى مصر» ٠

هذا هو الميثاق وهذه هى بنوده ، ويبقى أن نشير الى ردود الفعل التى أحدثها فى نفوس المستعمرين وحلفائهم ، لقد كان الاندهاش عظيما فى الاوساط الاستعمارية بالمغرب وعلى رأسها الاقامة العامة التى لم تقم برد الفعل الا عندما اطمأنت لعدم تدخل جيوش الحلفاء الموجودين فى المغرب ، وخصوصا عندما لاحظت الانسجام الذى حصل بين الوطنيين وبين جلالة الملك حول هذا الميثاق ، حيث عقد جلالته اجتماعا موسعا لدراسة هذه الوثيقة ومساندة ما جاء فيها من بنود ، كما تكونت لجنة ضمت بعض أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ووزيرين ورئيس التشريفات الملكية دخلت مع الاقامة العامة فى محاورات حول الطرق الصالحة لتنفيذ ما جاء فى هذه الوثيقة مع الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع السلطات الفرنسية ، ولكن هذه المحاولات فشلت ، وحاول السيد «جابرييل بيو» المقيم العام الجديد الذى خلف «نوجيس» أن يقلل من أهمية هذه الوثيقة فمنع كل اجتماع يتعلق بها ومنع المغاربة من ذكرها ٠ وعمل على تنحية الوطنيين الذين ساهموا فيها او وقعوها ، وهكذا وفى يوم 18 يناير 1944 قبض الولاة العسكريون على 18مسيرا من الحركة الاستقلالية متهمين اياهم بالاتصال بالعدو حيث ان الاقامة العامة ادعت أنه وقعت اتصالات بين رجال الحركة الوطنية وبين ألمانيا والمحور ، وان هذه الاخيرة هى التى دفعتهم الى القيام بخلق تلك الصعوبات لفرنسا ولجيوش الحلفاء ٠ وكان

فى مقدمة المعتقلين الامين العام للحزب السيد أحمد بلافريج وما أن انتشر نبأ الاعتقالات حتى عم الوطنيين استياء كبير ووقع اضراب عام شمل سائر المدن المغربية ، ووقعت اصطدامات كبيرة بين الوطنيين وبين جيش الاستعمار وخصوصا فى مدن فاس وسلا والدار البيضاء . وهكذا عم الاضراب سائر نواحى البلاد وأصبحت حالة الحرب قائمة فى أهم المدن المغربية ، وأغلقت جميع المدارس المغربية والاسلامية تضامنا مع حزب الاستقلال وقادته فى مواقفهم من اجل المبادىء التى جاءت بها الوثيقة .

هكذا نجد أن تكوين حزب الاستقلال كان بمثابة خطوة عظيمة وحدت الامة بأسرها لصالح الحركة الوطنية وبعثت فى نفوس الكل وعيا قوميا أعجب به الجميع ، مما عمل على نشر الحركة الوطنية وذيوعها وبلوغها درجة لم تبلغها قط قبل هذا العهد ، حيث أن الحزب اتخذ سياسة جديدة تتلخص فى معارضة كل ما تسميه الاقامة العامة بالاصلاحات ، وتبعا لذلك رفض حزب الاستقلال الاصلاحات التى أراد المقيم العام (جابرييل بيو) ادخالها على المغرب واضطر الى شرح ما يطلبه الشعب المغربى بتدقيق ، وما عزم على تحقيقه منذ 11 يناير 1944 مبينا أن الشرط الضرورى لكل تفاهم هو تحرير السيادة المغربية يعنى الاستقلال التام . وان كل تعاون قبل تحقيق هذا الشرط غير مقبول . وقد قدم ذلك فى مذكرة رسمية جعلت المقيم العام يعدل عن خططه ويعجز عن تنفيذ مخطط الاستعمار مما دفع بالحكومة الفرنسية الى اعفائه وتعويضه بمقيم عام جديد هو السيد (اريك لابون) أحد اقطاب الدبلوماسية

الفرنسية . وكان أول عمل قام به هذا المقيم الجديد تلبيته لرغبة صاحب الجلالة فى اطلاق سراح المعتقلين الوطنيين وعلى رأسهم الاستاذ علال الفاسى وارجاعه من منفـــاه السحيق بالغابون الذى دام تسع سنوات ، وارجاع الامين العام للحزب السيد احمد بلافريج من منفاه بكورسيكا ، والسماح للسيد محمد حسن الوزانى بالدخول لفاس من مقر اقامته الاجبارية بقرية (ايتزر) بالاطلس المتوسط .

وهكذا ففى يوم 26 مارس 1946 تم دخول الاستاذ علال الفاسى الى مدينة فاس وبصحبته الدكتور الفاطمى الفاسى الذى أوفده الحزب لمرافقته فى رجوعه . وقد غصت مدينة فاس مسقط رأس الزعيم بوفود المهنئين التى جاءت من كل حدب وصوب لتعبر عن فرحتها وابتهاجها برجوع زعيمها العظيم الذى لم تسمح له جماهير المهنئين بالاتصال بأسرته ورؤية ابنته ليلى التى تركها وعمرها عدة شهور والتى بلغت السنة التاسعة من عمرها الا فى لحظـات صغيرة ، لانه اشتاق للجماهير الشعبية أكثر من اشتياقه لاسرتـــه .

وهكذا وفى آن واحد وقع التقاء الوطنيين جميعا الموجودين منهم فى أرض المعركـــة والعاملين فى الخارج والمنفيين فى المناطق البعيدة ، وقع التقاؤهم جميعا عند فكرة واحدة أصبحت راسخة فى جميع الاذهـــان هى أن مرحلة من العمل الوطنى قد طويت وأن الوقت قد حـــان لاعلان الكلمة الاخيرة والدفاع عنها التى هى ــ الاستقلال ــ

الفصل الرابع

الرجوع من المنفى ومتابعة الكفاح

كان رجوع الاستاذ علال الفاسي من منفاه بالغابون مناسبة حسنة للم شتات الحركة الوطنية وجمع الكلمة حول الهدف الاسمى الذى يتمثل فى الحصول على الاستقلال والذى مهد له أعضاء الحزب بتقديم وثيقة الاستقلال يوم 11 يناير 1944 . كما كان رجوعه لارض الوطن مناسبة لتنسيق العمل بين الوطنيين وبين القصر الملكى وعلى رأسه جلالة الملك محمد الخامس الذى بادر باستدعاء الاستاذ علال واستقباله فى اليوم الموالى لرجوعه من منفاه مباشرة وأبدى له استعداده الكامل لمساعدة الوطنيين والتضحية فى سبيل الوطن ولو ادى ذلك الى تضحيته بعرشه الكريم .

وقد كان أول اجتماع حضره الاستاذ علال بعد رجوعه هو الاجتماع الذى عقده المجلس الاعلى لحزب الاستقلال فى مدينة الرباط ، لدراسة مخطط الاصلاحات الذى تقدمه المقيم العام السيد (لابون) الذى كانت سياسته تتسم بنوع من الليونة الشيء الذى جعله يسمح باصدار بعض الصحف الوطنية كجريدة «العلم» باللغة العربية ، وجريدة «رأى الشعب» باللغة الفرنسية اللتين كانتا الجريدتين الرسميتين لحزب الاستقلال . وان كانت السياسة الفرنسية لم تتطور قط فى أصولها الاستعمارية حيث أراد (لابون) بواسطة الليونة والمجاملة تحقيق ما عجز عنه سابقوه بالعنف وقوة الحديد والنار ، وقد خرج المجتمعون بنتيجة مهمة هى معارضة كل اصلاح تتقدم به الاقامة العامة بدون الاعتراف باستقلال المغرب ، وقدموا مذكرة بذلك الى القصر الملكى واتبعوها بارسال وفد عن المجلس الاعلى للحزب الى باريس لتوضيح الحقائق أمام

الحكومة الفرنسية وأمام الراى العام الفرنسى والدعاية للقضية المغربية ، ورغم الاستقبالات الحسنة التى حظى بها هذا الوفـــد من طرف المسؤولين الفرنسيين فانه لم يتوصل الى نتيجة تذكر لصالح القضية الوطنية ، ولصالح استقلال المغرب ، ولهذا فقد تقرر ارسال وفد آخر برئاسة الامين العام للحزب زيـــادة فى الاعراب عن حسن نيـــة الوطنيين فى التعاون مع المسؤولين الفرنسيين وفى التوجه الى الرأى العام الفرنسى ٠

ولكن هذه العناية التى أبداها الوطنيون لم تلق ما كان منتظـــرا من التقدير والاهتمام من طـــرف الشعب الفرنسى ، لان الخطة السياسية لم تتبـــدل والاساليب الاستعمارية لم تتحول ، ورغم ذلك فقد قرر الحزب عدم الاقدام على اى أمر من شأنه أن يقلب الاوضاع رأسا على عقب ، قبل أن يوجه الانذار الاخير ٠ وهكذا تقرر أن يسافر الاستاذ علال الفاسى بنفسه الى باريس ليكمل مهمـــة الوفود السابقة ، وخلال اقامته القصيرة هذه بأرض الوطن قام بعدة أعمال جليلة ، نذكر من بينهـــا نشاطه الكبير لتدعيم الحركة النقابيـــة فى فـــاس والبيضاء وبنى ملال وأكاديـــر ٠

السفـــر الى باريس :

قبل أن نتحدث عن سفر الاستاذ علال الى فرنسا لا بأس أن نشير ولو بايجاز الى الحالة العامة التى كانت تسيطر على فرنسا اذ ذاك ٠ فقد كانت السياسة الداخلية تامة الارتبـــاك ، وكان الشيوعيون يهددون بالاضرابات

والانسحاب من الحكـــومة ، وكان الجنرال (دوكول) قد استأنف نشاطه فى معارضة النظام الحاضر داعيـــا الى التجمع لتجنيد الشعب الفرنسى فى دائرة النظام الجمهورى الديمقراطى ومقاومة الشيوعيين الذين يـــرى فى وجودهم خطرا على مستقبل العظمة الفرنسية ، مما جعل حكومة السيد (رامادييه) تضيق درعا بنشاط (دوكول) وعمله ، واعتقدت أنه مؤيد من طرف الامريكيين الذين لا يقبلون أن تنتصر روسيا فى نشر سلطانها المعنوى على شعوب أوربا الغربية . والى جانب هذا كانت حملات الصحف الاوربية والامريكية والشرقية على السياسة الفرنسية فى شمـــال افريقيا عظيمة خصوصا بعد الرحلة التى قام بها جلالة الملك الى طنجة والقائه خطابه التاريخى بها . هذه العوامل كلها دفعت بالسيد (رامادييه) وحكومته الى مراجعة التفكير فى علاقة فرنسا بأمريكا وتعديل الخطة ، بأن تمد فرنسا يدها كاملة لامريكا وتفسح لها مجال الترويج الاقتصادى لبضائعها فى فرنسا ومستعمراتها وتقصى الشيوعيين عن الحكومة حتى تتمكن ــ بعد أن تكون قد أرضت أمريكا ــ من التحرر للعمل كما تشاء فى المغرب وسائر الشمـــال الافريقـــى .

سافر الاستاذ علال الفاسى الى فرنســـا فى هذا الجو المشحون بالمثبطات لتتميم العمل الذى بدأه الوفدان السابقان ، وقد وجد فى استقباله بالمطار جمهورا غفيرا من المغاربة الطلاب والتجار والعملة وغيرهم ، الذين أظهروا من الحفاوة والاكـــرام شيئا كثيرا ، وقد أدلى بتصريـــح للصحافة بمجرد وصوله قال فيه : « لقد جئت لفرنسا كى

اواصل الجهود التى بدأها اخوانى من قبلى ، وسأتصل بجميع الاوساط الفرنسية التى أرجو أن اجد فيها قبـــولا وتأييدا » (1) فهو فى هذا التصريح يوضح الغاية والمهمة التى جاء من أجلهـــا وهى التفاهم قصـــد الحصول على استقلال المغرب . وهذا ما أوضحه فى الحديث الصحفى الذى أدلى به الى مندوب جريدة (فرانس تيروار) والذى أعطى فيه نظرة عن البرنامج العام للمغرب المستقل الذى يتلخص فى تنظيم الحكومة والشعب على أساس ديموقراطى محض ، كما شرح فيه علاقة المغرب بالجامعة العربية ، والدور الذى يمكن أن تلعبه هذه الاخيرة فى مجال توحيد أقطار المغرب العربى وشعوب العالم العربى ، وتعرض فيه لعلاقة المغرب بفرنسا فى الحاضر ، وما يمكن أن تؤول اليه فى المستقبل ، وكذلك علاقة المغرب مع بقية الدول العظمى ، وقد حضر بعد ذلك حفل استقبال أقامته الجالية المغربية فى فرنســـا ، وحفلة أخرى أقامتها دار الفكـــر التونسية ، وألقى فى هذه الحفلات عدة كلمـــات وخطب وشرح فيها بتفصيل القضية المغربية وكل ما يتعلق بها ، وبالجملة فقد كانت الفترة الاولى من اقامته بباريس عبارة عن اجتماعات وندوات ومحاضرات واتصالات بالشخصيات العربية والفرنسية وغيرها ، وكانت كلماته وتصريحاته كلها تدور حول نقطـــة واحدة هى اقنـــاع الفرنسيين بضرورة

---

(1) الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى . ص : 327 .

اعلان استقلال المغرب مذكرا اياهم بمبادىء حقوق الانسان التى نادت بهـا الثورة الفرنسية ، ومبينـا لهم أن خير أمبراطورية هى التى تقوم فى الادهان وفى الارواح ، لا فى الامتدادات الزمنية والمكانية ، ومخبرا اياهم بأن تحرير المغرب هو فى الحقيقة تحرير لفرنسا من خطيئة الاستعمار الغـاشم .

وباختصار يمكننا ان نلخص أعماله فى فرنسا فيما يلى :

1 ـ القاؤه خطابا فى جمع عام للعملة المغاربة والجزائريين فى (جون فيلى) دعاهم فيه الى تنظيم الصفوف .

2 ـ عقده اجتماعات مع الطلبة الافارقة ومع نادى الطلبة المغاربة بباريس ثم بعدها تأسيس مكتب لفرع الحزب بباريس ، الذى كان له دور كبير فى توحيد الصفوف وتنظيم المغاربة والتعاون مع التونسيين والجزائريين وسائر العرب المقيمين فى فرنسا .

3 ـ تأسيس لجنة للتنسيق بين احزاب المغرب العـربى ضمت ممثلين عن حزب الاستقلال وحزب الدستور التونسى وحزب الشعب الجزائرى للعمـل على تنسيق أعمال الاحزاب المغربية الثلاثة .

هذا الى جانب محاولة الاتصال بالمسؤولين الفرنسيين للتباحث معهم فى جوهر المشكلة حيث طلب مقابلـة وزير الخارجية الفرنسية الذى لم يجبه على طلبه ، وانما بعث من طرفه بعض الموظفين الفرنسيين العاطفين على القضية المغربية قصد تصفية بعض النقط الغامضة قبل الدخول فى

مباحثات ايجابية ، ولكن الاستنتاجات التى كونها الاستاذ علال من خلال هذه المقابلة تظهر مدى غطرسة فرنسا وعدم استعدادها لمنح المغرب استقلاله خارج الوحدة الفرنسية ، وانما تريد الغاء الحماية وتمتيع المغرب بحكم ذاتى فى دائرة الوحدة الفرنسية ·

وبعد فشله فى التوصل الى نتيجة تذكر ، وبعد اتصاله بالمسؤولين الفرنسيين ، اتجه الى الاتصال بالراى العام الفرنسى ، فقابل عدة شخصيات مسؤولة فى أهم الاحزاب الفرنسية ، ولكنه وجد افكار الجميع متحدة فى استنكار السياسة الاستعمارية المتبعة فى شمال افريقيا ، وليس بينهم من يقبل الكلام عن الاستقلال الخارج عن نطاق الوحدة الفرنسية ·

وهكذا وبعد العجز عن التوصل الى خط التفاهم ، لوجود الاختلاف فى المبادىء الاولى ، وتبعا للسياسة التى تخذتها فرنسا مع أمريكا فقد استدعت الحكومة الفرنسية المقيم العام السيد (لابون) الى باريس واعفته من مهمته وعوضته بالجنرال (جوان) بصفته أكبر جنرال فرنسى من جهة ، وبصفته ولد فى شمال افريقيا وتمتع بروح ولاتها الاستعمارية من جهة أخرى ، ولانه أيضا لم يكن من أنصار (دوكول) · ولقد أثار تعيين هذا الجنرال على رأس الاقامة العامة بالمغرب حفيظة الوطنيين المغاربة وعلى رأسهم صاحب الجلالة الذى بعث ببرقية الى وزير الخارجية الفرنسى يحثه فيها على عدم تعيين شخص عسكرى على

رأس الاقامة العامة ، حفاظا على الصداقة المغربيه الفرنسية ، ولكن حكومة باريس أبت الا ان تتحدى شعور جلالة الملك وشعور الشعب المغربى النبيل وعينت الجنرال (جوان) ليقوم حسب فهمها بالقضاء على تحمس الوطنيين المغاربة وتهديدهم والقضاء على وحدة القائد المعظم جلالة الملك مع شعبه ومساندته للحركة الوطنية ٠

هذه العوامل كلها مجتمعة ، مضافا اليها الجو الذى حاكه الدبلوماسية الفرنسية خول تعيين الجنرال (جوان) والذى كان فى جوهره جو تحد وعناد ، وما أضافته الصحافة الاستعمارية بما نشرته من مقالات للنيل من جلالة الملك واعتباره موظفا عاديا يمكن تغييره فى أى وقت وللنيل من الشعب المغربى عامة واعتباره شعبا بدائيا يحتاج الى من يقوده ، وبالاضافة الى ما علمه الاستاذ علال وهو فى باريس من ان الجنرال (جوان) قد كلف من قبل حكومته بتنحية جلالة الملك عن عرشه اذا لم يتنازل عن مساندته للحركة الوطنية الشىء الذى جعل الاستاذ علال يكتب الى الامين العام لجامعة الدول العربية يخبره الخبر ويطلب منه التدخل لدى حكومات الدول العظمى ومنها أمريكا لتنبيهها الى خطورة ما تنوى فرنسا الاقدام عليه مما جعل تنفيذ هذه المؤامرة يتأخر مدة غير قصيرة الى أن استطاعت فرنسا اقتناع الحكومة الامريكية بعدم التخوف على مصالحها فى المغرب ٠

قلنا هذه العوامل هى التى دفعت الاستاذ علال بصفته رئيس حزب الاستقلال الى أن يسافر الى القاهرة مباشرة

معلنا بذلك الاتجاه الصارم فى الحركة الوطنية ومعلنا أن لا مفاوضة قبل إعلان الاستقلال كما دفعته أن يقلب مركز الوفد الدائم للحزب بباريس الى مكتب للاستخبارات والدعاية عينت له اللجنة التنفيذية مندوبا حليا من طرفها للاشراف على تسييره ، وعلى توجيه الحركة الاستقلالية والوطنية فى فرنسا .

وهكذا نجد أن الحركة الوطنية قد يئست من سياسة التعاون والتفاهم مع السلطات الاستعمارية سواء منها الاقامة العامة فى المغرب ، أو الحكومة الفرنسية نفسها ؛ وقررت الخروج من هذه المرحلة الى مرحلة المجاهرة والمقاومة والعداء لفرنسا ، واعتبار مطلب الاستقلال مطلبا أساسيا لكل تفاهم وتعاون ، وهيأت لذلك تنظيمات وخلايا داخل حزب الاستقلال ، وقامت باطلاع الرأى العام الدولى بمشروعية مطلبها سواء عن طريق منظمة الامم المتحدة أو عن طريق جامعة الدول العربية مما سنعرض له فيما بعد .

الفصل الخامس

مرحلة النفي الاختياري بالمشرق العربي

لقد كان وصول الاستاذ علال الفاسى الى القاهر يوم 25 ماى 1947 .وكانت مصر آنذاك فى اطار حياتها البرلمانية ونظامها الملكى تعيش صراعات داخلية بين القوى الوطنية الموجودة فى البلاد . ولكن الجميع كان يتخذ موقف التأييد للقضية المغربية وتحرير هذا الجزء من العالم العربى . وقد اتخذ عمل الاستاذ علال ورفاقه الذين سبقوه انطلاقا من مكتب تحرير المغرب العربى الذى كان يضم نخبة ممتازة من مكافحى الاقطار الثلاثة والذى أعاد الاستاذ علال تنظيمه بمجرد وصوله الى القاهرة . ذلنا اتخذ عمل علال ورفاقه اسلوبا جديدا ونهجا فكريا متقدما ، ومن خلال ذلك كانوا يعملون على التعريف بالمغرب تاريخيا وحضاريا حتى أصبحت القضية المغربية حديث المجالس ، وساعد على ذلك تطور الظروف فى المنطقة وقيام الثورة المصرية . وقد نجحت مجموعة المكتب المغربى وعلى رأسها الاستاذ علال فى كسب تأييد أغلب الدول العربية وخصوصا مصر ، حيث كانوا لا يتركون فرصة تمر الا وقاموا بزيارات للعديد من العواصم العربية الاخرى كدمشق وبغداد وبيروت يحاضرون فيها ويجرون الاتصالات والتجمعات ، ويجمعون التبرعات لصالح القضية المغربية التى هى قضية عربيـــة .

واذا أردنا أن نتعرض للحركة الوطنية خلال هذه الفترة بشىء من التفصيل فاننا نجد أن أهم طابع يطبعها هو بلوغها مرحلة من النضج لم تتقدم من قبل ، وانتشارها وبروزها على نطاق دولى ، وحصولها على نوع من الرسمية فى المحافل الدولية فى اطار الهدف الاسمى الذى يتمثل فى

الحصول على الاستقلال · وقد اتخذ الاستاذ علال لذلك اطارا عاما يتلخص فيما يلى :

1 ــ تدويل القضية المغربية واعطاؤها الصبغة الرسمية في المحافل الدوليـــة ·

2 ــ تنسيق العمل مع المنظمات التحررية فى المغرب العربى

3 ــ شرح القضية المغربية فى أغلب اقطار العالم وتأسيس مكاتب للحركة الوطنية فى العواصم الاوبية والامريكية والاسيوية بحيث تعمـــل على جلب أصوات جديدة ومفيدة لصالح القضية المغربية ·

هذا هو الاطار العام الذى غلف سير الحركة الوطنية خلال هذه الفترة مما سنعرض له بتفصيل فيما ياتى · وقد ساعد على تنفيذه رجال الحركة الوطنية سواء الموجودون منهم فى القاهرة وعلى رأسهم الاستاذ علال الفاسى ، او الموجودون منهم فى المغرب ، أو الموجودون منهم فى مناطق أخرى من العالم ، فى تناسق وانسجام تام زاد من فعاليته وقوته رعاية جلالة الملك محمد الخامس له ، وتبنيه للافكار الوطنية التحررية ، ومساعدته للحركة الوطنية وتعلقه بها الشيء الذي ظهر فى سائر أعماله وخطبه ومذكراته وعلاقته مع الوطنيين ومع الهيئة الاستعمارية المهيمنة على تسيير الامـــور فى المغرب ·

عندما نلقى نظرة على فترة اقامة الاستاذ علال فى المشرق والتى امتدت عشر سنوات نجد أنها تنقسم الى

مراحل جزئية كل منها لها صبغتها الخاصة التى تصبغهـا وهـى :

1 ـ الحقبة الاولى من اقامته فى القاهرة .

2 ـ حقبة الاقامة فى مدينة طنجة .

3 ـ الحقبة الثانية من اقامته فى القاهرة .

الحقبة الاولى من اقامته فى القاهرة

وهى عبارة عن مرحلة تجميع القوى والتهيىء للقيام بالثورة ضد المستعمر وتبتدىء من وصوله الى القاهرة فى 25 ماى 1947 الى سنة 1949 التى انتقل فيها الى مدينة طنجة ، ويمكننا أن نجمل أهم الاعمال التى قام بها خلال هذه الحقبة والتى كان لها اثر فعال فى السير بحركة الشمال الافريقى عامة والمغرب خاصة نحو الهدف المنشود من ناحية التفكير ومن ناحية العمل فى الاعمال التالية :

1 ـ العمل على توطيد العلاقات بين المغرب ومصر :

ولا يخفى أهمية هذا العمل فى تطور الحركة والتأثير على سيرها العام . فاذا كانت العروبة والدين والروابط التاريخية والاشتراك فى الامال والالام قد وحد بين هذه الدول ، واذا كان تأسيس الجامعة العربية قد أظهر اثر هذا التوحيد الى حد بعيد ، فان المغرب ظل مع ذلك بعيدا عن المشاركة الفعالة بجانب بقية الدول العربية سواء فى الاجتماعات أو فى المؤتمرات ولا حتى أن يقبل رسميا فيها ، بل لقد كان بعض رجال الجامعة العربية يشكون فى مدى ما

وصلت اليه الحركة الوطنية فى المغرب وفى الشمال الافريقى عموما الى أن كانت زيارة جلالة الملك لمدينة طنجة والقائه الخطاب التاريخى بها ، هذا الخطاب الذى أظهر من خلاله تشبث المغرب بعروبته واعتماده التام على الجامعة العربية وهذا ما جعل الاستاذ علال الفاسى يولى اهتمامه بمجرد وصوله الى مصر للتعريف بالوجه الحقيقى للقضية المغربية ، وبحقيقة الاحوال التى تجرى فى المغرب ، والسعى من اجل كسب أصوات مصر وغيرها من بقية الدول العربية المتمتعة باستقلالها لجانب القضية المغربيـــة ، ومن اجل كسب معونات هذه الدول المادية والمعنوية لصالح الحركة الوطنية فى المغرب . وتأتى أهمية هذا العمل فى كونه ساعد على توسيع دائرة المشكلة بعـــد أن كان محصورا فى الحدود الجغرافية لارض المغرب ، وجعل كثيرا من الدول تستعمل نفوذها وقوتها من أجل القضية المغربية والدفاع عنها ، ويتجلى ذلك بالخصوص على صعيد الجامعة العربية حيث قام أمينها العام بتدخلات واتصالات ، كما عمل على نشر مقالات فى الصحف الاوربية والامريكية الكبرى يشرح فيها أحقية المغرب فى الحصول على استقلاله كانت لها آثـــار كبيرة فى دعم الحركة الوطنية ومساعدتها .

2 ـــ مساعدة البطل عبد الكريم الخطابى فى اللجوء الى مصر . وقد اهتمت الحركة الوطنية عدة مرات بالعمل على اطلاق سراح هذا البطل من منفاه حيث دعت كتلة العمل الوطنى لهذا الغرض سنة 1936 ، وكذلك بدل الحزب الوطنى سنة 1937 جهـــودا كبيرة من اجل تحقيق هذا الغرض ، كما والت حملاتها فى هذا الشأن بنشر مقالات

فى الموضوع ، والالحاح فى طلب الافراج عنه ،حتى اقتنع بعض الشيوخ الفرنسيين بتقديم طلب التحرير لصالح هذا البطل الى لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الفرنسى وقررت اللجنة تضامنها مع الاقتراح ، ولكن وزارة الخارجية الفرنسية اجابت بأن الوقت لم يحن بعد ، كما أن الاستاذ علال الفاسى أثناء اتصاله برجال فرنسا الحرة اثار هذا الموضوع وبذل مجهودات جبارة فى سبيل تحقيقه ، ولكنه لم يصل الى النتيجة المتوخاة ، كما أن ممثلوا الحركة الوطنية فى القطر المصرى بذلوا مجهودات كبيرة لـــدى الجامعة العربية سنة 1947 من اجل هذا الغرض مما دعى امينها العام الى تقديم رسالـــة لوزارة الخارجية الفرنسية فى هذا الشـــأن ٠

كل هذه المجهودات التى بذلت لم تؤت أكلها كما كان منتظرا ، وانما دفعت فرنسا الى نقله من منفاه بجزيرة «لارينيون» الى فرنسا ليستمر تحت الاقامة الاجبارية وتحت سلطة الرقابة الاستعمارية ٠ وفى طريقه نزل ببلاد عدن مدة قصيرة ارسل أثناءها للوطنيين المغاربة الموجودين فى مصر ليعملوا على مساعدته فى البقاء بها ، وأخبرهم بموعد وصوله الى مصر فبادر جميع أفراد مكتب تحرير المغرب العربى وعلى رأسهم الاستاذ علال العمل على تهيىء سبل اللجوء الى مصر والاقامة بها ، وهكذا وبعد وصول البطل عبد الكريم الى قناة السويس أرسل رسالة الى ملك مصر يحييه فيها بمناسبة مروره بالمياه المصرية ، ولما وصل الى ميناء بور سعيد وجد فى استقباله شخصيات وطنية كبيرة كان من بينها الاستاذ علال الذى أخبر من طرف احد

اعمام البطل عبد الكريم برغبة هذا الاخير فى البقاء بمصر ، وكان قد طلب النزول الى البر للتجول قليلا ، فذهب توا الى محافظة الميناء وأعرب المحافظ عن رغبته فى الالتجاء الى حمى ملك مصر فرارا من اسر المستعمرين ، فوعده المحافظ بتبليغ طلبه ، وبعد جولة قصيرة رجع الى الباخرة حيث قضى الليل ، وفى الغد ، نزل مرة اخرى الى البر وتوجه للمحافظة حيث بلغه المحافظ باسم ملك مصر قبوله الالتجاء الى وطنه ، وهكذا استقر المقام بالبطل عبد الكريم فوق التراب المصرى هو وأسرته ، مما أثار سخط الحكومة الفرنسية التى اعتبرت أن هذه العملية تمثل اهانة لها من طرف الحكومة المصرية ، حيث اتهمتها بتحريضه على البقاء فى أرضها ، مما دفع بصحف فرنسا والدول الموالية لها الى نشر المقالات تلو المقالات مدة اربعة أشهر عن هروب البطل عبد الكريم من الاسر والتجائه الى الاراضى المصرية ، وعلى تحليل الاوضاع الموجودة فى العالم ، وتحليل العلاقات بين مصر وفرنسا ، واستعراض تاريخ الحرب الريفية وجوانب القضية المغربية ، وفى المقابل ابتهجت كل الدول العربية لهذه الخطوة المباركة ، وأخذت تعبر عن فرحتها سواء عن طريق البرقيات أو عن طريق المقالات الصحفية التى اخذت تتعرض للقضية المغربية بتفصيل ، وتذكر بطولة الوطنيين المغاربة مدة طويلة .

وهناك بعض من يذكر أن الوطنيين المغاربة فى مصر هم الذين عرضوا على البطل الريفى فكرة اللجوء الى الاراضى المصرية ، ومهدوا لذلك السبيل ، ولكننا لا نعثر على تأييد لذلك ، والاغلب على الظن أن البطل الريفى

هو الذى طلب منحه صفة لاجىء سياسى فى مصر ، وان دور الوطنيين انحصر فى تهييىء السلطات المصرية لقبول هذا الطلب ، وهذا ما أكده الاستاذ علال الفاسى فى فصل خصه بهذه المسألة فى كتاب «الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى» (1) ، وعلى أى فان النتيجة المهمة التى يمكن ان نستخلصها من هذه المسألة هى أن عملية التجاء البطل عبد الكريم الخطابى الى مصر ساعدت على التعريف بالقضية المغربية على نطاق أوسع ، وفى جميع أنحاء المعمور سواء فى الدول التى حبذت هذه العملية أو فى الدول التى وقفت موقفا مضادا لها ، كما انها أرجعت الثقـــة الكبيرة الى نفـــوس كثير من افراد الشعب المغربى ، وكانت دلالـــة واضحة على قوة الحركة وفعاليتها وتقدمها رغم جهـــود المستعمرين فى القضاء عليها وعلى أبطالها ٠

3 ــ تأسيس لجنة تحرير المغرب العربى : لقد ظلت الحركات المغربية تتطور فى أطوار التنسيق والتوجيه المختلفة حتى أدى ذلك الى تكوين مكتب المغرب العربى فى القاهرة والذى يعتبر من اكبر المظاهر لرغبة أبناء المغرب العربى فى التعاون على تحرير أوطانهم الثلاثة التى توحد بينهـــا اللغة والدين والجنس والتاريخ والجغرافية ووحدة المستعمر ووحدة الامال فى التحرر من ربقته ، وقد عمل الاستاذ علال على ابراز هذه الفكرة أثناء وجوده بباريس حيث كون لجنة اتصـــال بين حزب الاستقلال المغـــربى وحزب الدستور

---

(1) صفحة 339 ٠

التونسى وحزب الشعب الجزائرى ، ولكن لجوء البطل عبد الكريم الخطابى ، الذى يعتبر رمز الكفاح فى المغرب العربى — الى مصر واستقراره بها زاد فى آمال مناضلى هذه الشعوب الثلاثة الموجودين فى القاهرة فى انماء هذا المكتب وتوسيع أعماله ومهامه ، فكان تأسيس لجنة تحرير المغرب العربى تحت رئاسة البطل عبد الكريم يوم 9 دجنبر 1947 والاعلان عنها رسميا يوم 5 يناير 1948 · وتكونت من مكتب انتخب رئيسه ونائبه بصفة دائمة ، وانتخب باقى الاعضاء بصفة مؤقتة وكانت نتيجة الانتخاب على الشكل التالى :

— الرئيس : عبد الكريم الخطابى
— نائبه : أخوه محمد بن عبد الكريم الخطابى
الامين العام : الحبيب بورقيبة (حزب الدستور)
— أمين الصندوق : محمد بنعبود (حزب الاصلاح)

وتشتمل هذه اللجنة على عدة أحزاب من المغرب العربى هى :

- الحزب الحر الدستورى التونسى القديم
- حزب الشعب الجزائرى
- الحزب الحر الدستورى التونسى الجديد
- حزب الوحدة المغربى ·
- حزب الاصلاح الوطنى المغربى ·
- حزب الشورى والاستقلال المغربى
- حزب الاستقلال المغربى ·

وقد قامت هذه اللجنة فى أشهرها الاولى بتنظيم نفسها ووضع لائحتها الداخلية وتأسيس لجان فنية ، كما قامت

باحتضان لجنة الدفاع عن افريقيا الشمالية التى كانت قد تأسست بدمشق ، وجمعية الدفاع عن المغرب الذى كان مقرها ببيروت ، وواجهت أعمالها بتنسيق العمل بين الحركات التحريرية فى المغرب العربى بتقديم مذكرات أخرى وعرائض الى الامم المتحدة ، كما بذلت جهودا كبيرة فى خدمة القضية الفلسطينية .

وفى 10 ماى 1948 عقدت جمعها العام لتجديد انتخاب منصبى الامين العام وأمين الصندوق فانتخب فى المنصب الاول الاستاذ علال الفاسى ، وفى المنصب الثانى السيد الحبيب تامر ، وقد نجحت مجموعة لجنة تحرير المغرب العربى فى كسب تأييد الدول العربية وعلى الخصوص مصر ، وبفضل الجهود التى بذلتها فى الكفاح السياسى الدعائى أصبح الشرق واجهة أمام فرنسا ، كما أصبح يمثل جدارا متينا يمنع محاولات فرنسا من التسلل الى أدمغة الساسة او مساومتهم كما أنه اخذ يردد أصداء الكفاح فى الخارج ، فيكون لها وقع حسن جدا لدى المكافحين المتعلقين بزعمائهم فى الداخل والمتطلعين الى نتائج أعمالهم .

هذه أهم الاعمال التى قام بها الاستاذ علال فى هذه الحقبة الاولى من مقامه فى القاهرة والتى استمرت سنتين حاول بعدها الرجوع الى ارض الوطن لمتابعة الكفاح والاسهام فى تقدم سير الحركة الوطنية ، والسير بها نحو الهدف المنشود ، ولكن سلطات الاستعمار منعته من الدخول الى وطنه فاستقر فى مدينة طنجة ، ومن هناك اخذ يتابع نشاطه السياسى ، ويوجه الحركة الوطنية فى الداخل بأفكاره واعماله .

حقبـــة الاقامة بمدينة طنجـــة

وتبدأ هذه الحقبة من سنة 1949 وتستمر الى غشت 1951 ، وخلالها قام بتنظيم عدد كبير من الخلايا الوطنية ، وبقى هناك على اتصال دائم بالداخل والخارج بتنسيق مع بعض أفراد الحركة الوطنية فى الداخل وباعانة منهم ، وكذلك مع الوطنيين فى المنطقة الشمالية ، ومن أهم أعماله فى هذه الحقبـــة :

1 ــ محاولته جمع الشعوب المستضعفة والمستعمرة منها على الخصوص فى كتلة واحدة أخذ يستغل اصواتها لصالح القضية المغربية والقضايا المماثلة ، وهى ما كانت تسمى «بالكتلة الافريقية الاسيوية» التى أدت للقضية المغربية أدوارا مهمة فى اجتماعات الامم المتحدة ، وكذلك بما قامت به فى اذكاء موجة التنديد والاستنكار للاعمال الوحشية التى كانت تقوم بها السلطات الاستعمارية ، وكمظهر لذلك المظاهرة التى قادها فى مدينة طنجة سنة 1950 ضـــد الاستعمار والتى كانت أول مظاهـــرة افريقية أسيوية فى تاريخ العالم المعاصر .

2 ــ فضحه لمؤامرة الجنرال (جوان) التى كان يريد القيام بها ضد جلالة الملك فعلى الرغم مما بذله هذا المقيم من جهود طيلة العامين الاذين قضاهما ، فانه لم يتوصل الى تحقيق ولو جزء يسير من البرنامج الذى جاء محملا به من فرنسا بسبب الثبات والحكمة اللتين أظهرهما كل من جلالة الملك ورجال الحركة الاستقلالية ، ولهذا فكرت

الحكومة الفرنسية فى استدعاء جلالته للسفر الى باريس عساها تستطيع أن تحل معه بطريق الاغراء ما لم تستطيع أن تحله بطريق القوة . فاستجاب جلالته لدعوة الحكومة الفرنسية بعد أن قلبت الشروط التى اشترطها والتى كان فى مقدمتها الدخول فى مفاوضات لحل الازمة المغربية ، واعطائه الحرية فى اختيار أعضاء ديوانه الذين سيرافقونه فى هذه الرحلة . وفى أكتوبر 1950 سافر جلالة الملك الى باريس وبمجرد وصوله سارع الى تقـديم مذكرتين الى الحكومة الفرنسية يطالبها بالغاء معاهدة الحماية ، فكان جواب الحكومة الفرنسية أن اقترحت تكوين لجان مغربية فرنسية لدراسة اصلاحات سبق أن أعلن عنها ورفضها جلالته مرارا لمساسها بالسيادة المغربية ، فأصدر جلالته وهو لازال بباريس بلاغا يعلن فيه عن اختلاف وجهة النظر بينه وبين حكومته من جهة ، وبين الحكومة الفرنسية من جهة أخرى، ثم قفل راجعا الى عاصمة ملكه .

فى هذا الجو المشحون رأى حزب الاستقلال أنه من الضرورى مضاعفة جهوده فى تأييد وجهة نظره التى تتلخص فى الحصول على الاستقلال ، فانتهز فرصة انعقاد مجلس شورى الحكومة فى دورته العادية فى دجنبر 1950 وأوعز الى أعضائه المنتخبين فى المجلس المذكور أن يركـزوا فى عروضهم وتقاريرهم على اظهار فساد النظام القائم فى البلاد ، فقاموا بمهمتهم على أحسن وجه حيث شرحـوا نظام الاستعمار الفاسد معتمدين فى ذلـك على الارقـام الرسمية التى استخلصوها من مستندات الاقامة العامة نفسها ، مستنتجين فى مناقشتهم استحالة تنفيذ أى اصلاح

فى دائرة وضع الحماية القائم . ولما راى الجنرال (جوان) افتضاح أمر ادارته طرد رئيس الغرفة التجارية لمدينة فاس من قاعة الاجتماع فتبعه بقية الاعضاء المنتخبين تضامنا معه متجهين فى الحين لمقابلة جلالة الملك واخباره بما وقع .

كانت هذه الحادثة سببا فى العمل على تهييج الجنرال (جوان) الذى اخذ ينظم مؤامرة للقضاء على السلطان وعلى رجال حزب الاستقلال لما رآه من تضامن تام بينهم مستعينا فى ذلك بالصحافة والاذاعة فى المغرب وفى فرنسا ، التى اخذت تتهم جلالة الملك بالتواطىء مع حزب الاستقلال الذى يربط اتصالات كبيرة بالشيوعيين . ومستعينا كذلك ببعض الخونة من شيوخ الطرق وبعض الاقطاعيين ، واخيرا بقوة البوليس والجيش والجواسيس لمحاصرة أبواب القصر الملكى وابواب المدن والاحياء الاهلية ، ومنازل زعمـــاء حزب الاستقلال ، كانت هذه هى الخطوة الاولى المهيئة للخطوة التى بعدها والتى تبتدىء بمقابلة الجنرال (جوان) لجلالة الملك يوم 26 يناير 1951 حيث طلب منه أن يصدر بلاغا يبرأ فيه من حزب الاستقلال ، وان يطرد اعضاء الديوان الملكى وبعض كبار الموظفين ، ولكن جلالته رد عليه بقوة واخبره بأنه يعتبر نفسه فوق الاحزاب ولا يمكن له أن يتبرأ من حزب ويبقى بجانب آخر . حينئذ طلب منه الجنرال (جوان) ان يختار بين الاستجابة لرغبة الاقامة العامة وبين التنازل عن العرش واعطاه مهلة أسبوع للتفكير ثم طوق القصر الملكى بالشرطة . ولكن الوطنيين كانوا اقوى من أن يسكتوا عن هذه العملية حيث سارع الاستاذ علال الفاسى للاتصال بجميع الشخصيات التى يهمها الامر ، وبسفراء الـــدول

الكبرى وبالمنظمات العالمية والعربية ومن ضمنها جامعة الدول العربية وجمعية الامم المتحدة لفضح هذه المؤامرة الدنيئة والنحو باللائمة على السلطات الفرنسية والاقامة العامة ، بالاضافة الى مقالات ضافية طلعت بها الصحف الوطنية والاجنبية الكبرى يفضح فيها سياسة الاستعمار فى المغرب وجرائمه والمذابح التى قام بهـــا ضد المواطنين العزل ، مما حذا بالجنرال (جوان) الى التخلى عن مؤامرته مرغما ، بالاضافة لما رآه من تصلب فى موقف جلالة الملك ازاء هذا العمل وعدم استكانته وخضوعه · فاستعـــاض عن مؤامرته بأن ابعد أعضاء الديوان الملكى وأعضـــاء الحكومة التى ابت أن تخضع لقرارات الاقامة العامة ، ثم شكل حكومة جديدة وفق رغبته ، ورغم الجهود التى بذلتها الدول العربية لحل المشكلة ورغم وساطة دولة البرازيل فان الحكومة الفرنسية لم تستجب لاى أحد ، مما دفع بالوطنيين فى الداخل الى التكتل فى جبهة وطنية ضمت سائر الاحزاب المغربية لبلوغ الهدف المنشود ، وكانت أول خطوة اتخذتها هذه الجبهة هى العمل على عرض القضية المغربية على مناقشات الامم المتحدة واعطائها الصبغة الدوليـــة التى تستحقها وجلب الانصار لها والعاطفين عليها فى الداخل وفى الخارج · وكانت هذه الخطوات سببا فى الفشل الذى منيت به سياسة الجنرال (جوان) فى المغرب مما دفـــع الحكومة الفرنسية الى استدعائه فى 20 غشت 1951 الى باريس واعفائه من مهمته وتعيين جنرال آخر مكانه هو الجنرال (جيوم) · كما أن هاته الاعمال المهمة التى قام بها الاستاذ علال خلال مقامه بطنجة هزت كيان سلطـــات

المدينة وجعلتها تعرضه على المحكمة مرتين بتهمة اقلاق الامن العام فى المدينة وأن تسحب منه جواز سفره ، ولما ارادت محاكمته مرة ثالثة فر الى القاهرة من جديد

الحقبة الثانية من اقامته بالقاهرة

وتمتاز هذه الحقبة بكثرة الاتصالات والتحركات فى سبيل شرح القضية المغربية وفى سبيل احباط مؤامرة الفصل بين جلالة الملك وبين الحركة الوطنية التي فشل فيها الجنرال (جوان) والتى جاء الجنرال (جيوم) خلفا له للعمل على تنفيذها وبالجملة فقد كانت هذه المرحلة مرحلة خصبة فى تاريخ الحركة الوطنية وفى تاريخ المغرب عموما وكان أهم عمل قام بـه الاستاذ علال فى هذه المرحلة هو العمل على عرض القضية المغربية على انظار مجلس الامم المتحدة ، وقد اتخذ لذلك عدة سبل منها

1 ـ دعوة الجامعة العربية لاتخاذ قرار بعرض القضية المغربية على الامم المتحدة فمنذ وصوله الى القاهرة فى غشت 1951 وهو يعمل من أجل تنسيق التوجيهات الضرورية لهذا الفرض ، فبعد اتصاله بالحكومة المصرية والامانة العامة لجامعة الدول العربية قام بجولة فى سوريا ولبنان والاردن والعراق لنفس الهدف مبلغا جميع الدول العربية رغبة الحركة الوطنية المغربية فى عرض قضيتها على الامم المتحدة ، وبعد هذه الجولة رجع الى مدينة الاسكندرية حيث حضر اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية فى أكتوبر 1951 هذه اللجنة التى اتخذت

بعد صعوبات كثيرة قـرارا بأن ترفع الـدول العربيـة الاعضاء فى منظمة الامم المتحدة شكواها بخرق فرنسا لحقوق الانسـان فى المغرب ، ثم وقع تسجيل القضية المغربية فى جدول أعمال الامم المتحدة من طـرف الدول العربية فى نفس التاريخ ، وعند اجتماع لجنة اعداد جدول أعمال الدورة اقترحت دولة كندا تأجيل النظر فى أمـر تسجيل القضية المغربية الى فرصة أخرى ، لما تحتـاج اليه من دراسة وامعان ، فقبلت اللجنة هذا الاقتراح واصدرت توصية به للجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة التى عقدت جلسة مطولة يوم 15 دجنبر 1951 تناقش فيها الاعضاء فى شأن تسجيل القضية المغربية ، وقام فيها العرب والاسيويون بدور عظيم لفضح الاساليب الاستعمارية الفرنسية ، وفى النهاية تقرر تأجيل التسجيل بواسطة التصويت حيث صوت لفائدة التأجيل 28 صوتا مقابل 23 صوتا وهذه نتيجة حسنة .

وهكذا نجد أن القضية المغربية بفضل جهود الدول العربية وبفضل ثبات رجال الحركة الوطنية وعملهم الدائب فى جميع الواجهات فرضت وجودها على الصعيد الدولى مما جلب لها انصارا وعاطفين وقفوا ضد التيار الاستعمارى الذى كانت تدعمه فرنسا وأمريكا وحليفاتها من الدول . ولم تفت هذه النتيجة فى عضد الوطنيين وضمنهم الاستاذ علال الذى أخذ يوالى مجهوداته للتهيىء للدورة المقبلة حيث خـط برنامجا لهذا الغرض كانت بدايته الزيارة التى قام بها الى الدول الاوربية والامريكية والسكندنافية .

2 — الرحلة التى قام بها فى سنة 1952 والتى زار خلالها اثنى عشر دولة هى : الدانمارك ، والسويد ، والنرويج

وهولندا ، وبلجيكا ، وسويسرا ، وايطاليا ، والبرازيل ، والارجنتين ، والاورغواى ، والشيلى ، والولايات المتحدة الامريكة ، وقد كان قصده من هذه الزيارة تنوير الرأى العام الدولى واثارة الضمير العالمى لصالح القضية المغربية ، حيث اتصل بمختلف الشخصيات الرسمية السياسية والحزبية والفكرية ، والقى محاضرات عن القضية المغربية ، وعقد عدة ندوات صحفية ، كما ربط الحركة الاستقلالية فى المغرب بعدة حركات ديموقراطية وانسانية بالاضافة الى حضوره عدة مؤتمرات من بينها مؤتمر الشبيبة الاشتراكية باستوكهولم حيث قدم له تقريرا عن نشاط حزب الاستقلال فى سبيل تربية الشباب المغربى وتنظيمه ، وكذلك المؤتمر الدولى البرلمانى فى (بيرن) الذى قدم له تقريرا عن الحياة النيابية فى المغرب قبل الحماية وبعدها ، وكذلك مؤتمر اتحاد جمعيات الامم المتحدة الذى انعقد فى جنيف .

هذه أهم الاعمال التى قام بها فى الدول السكندنافية واوربا ، أما فى أمريكا الجنوبية فقد عمل على تأسيس لجنة عليا لتأييد الحركة المغربية برئاسة الاستاذ (ميشيل كوز) كما اسس لجنة الصحفيين البرازيليين لتأييد تحرير المغرب والعرب كان لها فرع فى الارجنتين ، أما فى الارغواى فقد اسس لجنة من الوطنيين الاورغوانيين للعمل من أجل تقوية التحالف بين كتلة امريكا الجنوبية وبين الكتلة الافريقية الاسيوية ، اما فى الشيلى فقد اسس مكتبا لتحرير المغرب العربى من الوطنيين الشيليين ، كما سهر على طبع نشرات وكتب فى كل هذه الدول التى زارها وبكل لغاتها شرح فيها القضية المغربية شرحا وافيا ورغم ردود الفعل التى اتخذتها

الحكومة الفرنسية ضد هذه الحملة الدعائة التى قام بهـا الاستاذ علال والتى تتمثل فى ارسال مبعوثين الى هذه الدول لغاية مضادة فان هذه الجولة أثرت بشكل ملحوظ فى تفهيم القضيتين المغربية والتونسية فى مختلف الاوساط التى زارها وساعدت كذلك على ايجاد تأييد من مختلف تلك الدول لمبدا قبول القضية المغربية فى سجل اعمال الامم المتحدة ، وعلى التعريف ببعض المنظمات والجمعيات التابعة للحركة الوطنية حيث انه زار بروكسيل ــ خلال هذه الجولة ــ التى يوجد بها مقر الاتحاد الدولى الحر للنقابات ، واجتمع بالمجلس الاعلى لهذه المنظمة العالمية وشرح لاعضائه حالة العمال المغاربة والاضطهاد الذى يلاقونه من طرف الادارة الفرنسية ، مما جعل هذا المجلس يتخذ خطوات مهمة أولها التوسط لدى الخارجية الفرنسية للحد من هذا الاضطهاد ، ثم رفع شكوى لمنظمة العمل الدولية التابعة للامم المتحدة التى توصلت بشكاوى أخرى من مختلف المنظمات العمالية فى العالم كلها توضح مدى الظلم الذى يصبه الفرنسيون على الطبقـة الكادحة فى المغرب ، وكان لهذه الخطوة قيمتها حيث ساعدت على توسيع اطار الكفاح النقابى والتعريف بالمنظمات النقابية المغربية مما جعل عدة مؤترات نقابـة عالمة تستنكـر سياسة الحماية الفرنسية فى هذا السبيل منها اتحاد العمال الامريكى الحـر .

3 ــ تأسيس مكتب لفرع حزب الاستقلال بنيويورك :

وقد ساعد هذا المكتب على تهيىء ملف كامل للقضية المغربية يشتمل على وثائق ومستندات كان لها دور كبير فى شرح

القضية المغربية أثناء مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة ، كما أمد جميع الوفود بالوثائق اللازمة ٠

هذه أهم الخطوات التى قام بها الاستاذ علال الفاسى تهييئا لانعقاد الدورة السابعة لمنظمة الامم المتحدة سنة 1952 التى سجلت فيها القضية المغربية بطلب من وزير الخارجية العراقى رغم محاولة فرنسا الوقوف ضد هذا التسجيل بدعوى أن القضية سجلت من طرف دولة واحدة ، ولكن الكتلة الافريقية الاسيوية عقدت اجتماعا خاصا فى نيويورك وساندت القضية المغربية وطالبت بتسجيلها فى جدول اعمال الدورة السابعة وفعلا درست القضية المغربية خلال هذه الدورة ٠ ورغم النتيجة التافهة التى توصلت اليها مناقشات منظمة الامم المتحدة والتى تتلخص فى كون هذه الجمعية وجهت نداء الى الدولتين المعنيتين بالامر المغرب وفرنسا للدخول فى مفاوضات لحل الازمة القائمة بينهما ٠ قلنا أنه رغم هذه النتيجة فان هذا النداء هو فى فحواه اعتراف ضمنى بالدولة المغربية ، كما ان مناقشة القضية المغربية فى اروقة الامم المتحدة كان مناسبة هامة للتعريف بهذه القضية على الصعيد الدولى ، والتشهير بالاعمال المزرية التى قامت وتقوم بها فرنسا ضد المغاربة فى وطنهم المغرب ٠

وبالاضافة الى هذه الاعمال فقد قام برحلات أخرى زار خلالها الهند والباكستان وغيرهما من الدول الاسيوية تام خلالها بالتعريف بالقضية المغربية فى هذه الاوساط مما جعل من الشرق واجهة للدفاع عن القضية المغربية أمام فرنسا ، كما قام بتقديم عدة احتجاجات ضد السلطات الاسبانية احدها ضد تعاونها مع الاقامة العامة الفرنسية

على قمع المواطنين ، وآخر ضد القرار الذى صدر عنها بمنع خطب الجمعة داخل مدن المنطقة الخليفية ، والدعوة الى عقد مؤتمر يضم الشعوب المستضعفة لتوحيد صفوفها وتنسيق جهودها لمقاومة الاستعمار والقضاء عليه ، زيادة على الاحاديث المتوالية التى كان يلقيها من مذياع صوت العرب منذ أن أنشئت هذه الاذاعة فى القاهرة للدفاع عن قضايا العرب والعروبة .

ولكى نربط الاحداث ببعضها لابد أن نرجع الى ذكر الاحداث التى تعاقبت على المغرب أثناء هذه المرحلة . فنجد أن تعيين الجنرال (جيوم) فى 20 غشت 1951 الذى يعتبر تلميذا للجنرال (جوان) والذى عين من أجل تحقيق سياسته التى فشل فيها أستاذه ، قوبل من طرف الوطنيين بنوع من الاشمئزاز ، وكان أول عمل قام به هذا المقيم الجديد قيامه بجولة كبيرة فى سائر أنحاء المغربالهدف منها التقرب من رؤساء القبائل حيث كان يعدهم بالخيرات والنعيم ليأمن شرهم وشر القبائل التى يشرفون عليها ، فى حين أخذ يتوعد الوطنيين ويهددهم بالقضاء عليهم ، وقد تابع سياسة القمع والاضطهاد ضد هؤلاء فى مدن المغرب وقراه . كما تابع الوطنيون وعلى راسهم جلالة الملك استنكارهم لهذه السياسة الاضطهادية عن طريق الاضرابات والتجمعات والمظاهرات ، وفى 30 مارس 1952 الذى هو يوم ذكرى مرور اربعين سنة على اعلان الحماية فى المغرب ، انتهزت الحركة الوطنية هذه الفرصة فقررت باتفاق مع الاتحاد العام للنقابات المغربية شن اضراب عام والقيام بتجمعات شعبية فى المساجد والاندية واعلان الحداد فى هذا اليوم ، وقد

نفذ هذا القرار فى جميع انحاء البلاد مما جعل الاقامة العامة تصدر أوامرها الى الجيش والشرطة باطلاق النار على المتظاهرين والمتجمهرين ، فقتل فى الدار البيضاء وبنى ملال ومريرت وقبائل الاطلس عشرات من المواطنين ، واعتقل اكثر من ذلك ، وشملت حركة العنف هذه مدينة طنجة نفسها حيث وقع اصطدام عنيف هناك يعتبر الاول من نوعه بين سلطات الادارة الدولية وبين المتظاهرين من المغاربة قتل فيها كثير من الوطنيين والاوربيين وخربت عدة محلات كما احرقت سيارات ومنازل كثيرة ·

هذه أولى الحوادث المهمة التى حدثت بعد تولى الجنرال (جيوم) على راس الاقامة العامة الفرنسية بالمغرب ، ولكن سياسة القمع التى تابعها ضد الوطنيين ومحاولته الفصل بين الحركة الوطنية وبين جلالة الملك ، وكذلك محاولته ادماج المغرب ضمن الاتحاد الفرنسى الذى ارادت فرنسا خلقه بواسطة مستعمراتها فى الشمال الافريقى على انقاض امبراطوريتها المضمحلة · قلنا هذه العوامل مجتمعة جعلت العلاقة بين الوطنيين وبين الاقامة العامة جد متوترة ، وكل منهما يتحين الفرص للقضاء على خصمه والنيل منه · وهكذا ففى يوم 7 دجنبر 1952 الذى قرر حزب الاستقلال باتفاق مع الاتحاد النقابى المغربى جعله يوم اضراب وحداد على وفاة الزعيم النقابى التونسى فرحات حشاد الذى خلفت وفاته أثر اليما فى نفوس المغاربة فى سائر انحاء البلاد وآستنكارا لاعمال الاجرام التى يذهب ضحيتها كثير من الشخصيات الوطنية فى أقطار المغرب العربى · لبى النداء جميع المغاربة وعم الاضراب سائر مرافق البلاد من

تجار وعمال وصناع وبحارة وخدمة للمناجم وموظفين ، بل وحتى اليهود المغاربة شاركوهم كذلك فى هذا الاضراب ولاول مرة . وقد هاجت السلطات الفرنسية لما رأته من شمول هذا الاضراب جميع نواحى البلاد بما فى ذلك منطقة النفـوذ الاسبانى والدولى ، فحاولت ارغام العمـال على حـل الاضراب والرجوع الى العمل فتسبب ذلك فى صدام نتج عنه قتيلان فى مدينة البيضاء مما اثار حفيظة الجمهور وسخطه فأخذ يهاجم الجيش والبوليس بالحجارة الشىء الذى جعلهم يطلقون العنان لرشاشاتهم وبنادقهم التى أخذت تقـذف نيرانها دون تمييز وتحصد أرواح المغاربة العزل ، وفى صباح اليوم التالى تكونت مظاهرة كبرى لاستنكار العـدوان الاستعمارى مما جعل الاصطدام يقع مـرة أخرى وتزهق أرواح بشرية أخرى كثيرة .

هذه الحوادث وما تبعها جعلت المقيم العام الفرنسى يصدر أمرا بحل حزب الاستقلال وتوقيف سائـر الصحف الوطنية واعتقال أعضاء اللجنة التنفيذية وسائر العاملين فى صفوف الحزب وعرضهم على الاستنطاق فى جو ارهابى بعد التنكيل بهم ، كما أصدر أمرا باقفال مراكز الصحف ومطابعها ولكن فكرة الاستقلال كانت قد هيمنت على عقول وأفكار جميع المواطنين ، كما أن فكرة المقاومة كانت قد سيطرت على أفكار وأعمال الوطنيين وأعضاء حزب الاستقلال ، فتكونت فى الحال لجنة مؤقتة أخذت تعمل فى الخفاء وكانت تشتمل على خمسة أعضاء هم : عبد الكبير الفاسى ، عبد الكريم غلاب ، مسعود الشيكر ، محمد الدويرى ، البشير بن العباس ، حيث أخذت تنسق عملها مع الاستاذ علال

الفاسى الذى كان موجودا فى المشرق عن طريق مكتب الحزب أسس بطنجة لهذه الغايـــة .

وهكذا نجد ان الاقامة العامة بالمغرب فقدت كل اتزان وكل تعقل بسبب هذه المواقف الخالدة التى وقفها الوطنيون والتى كانت تمثل المعارض الاكبر الذى يقف فى وجه تطبيق مخططها الاستعمارى فى المغرب ، وتجتثه من أساسه مما جعلها تتخذ اجراءات هى بعيدة كل البعد عن السياسة المنطقية وعن نية الاصلاح تمثلت فيما سبق أن ذكرناه ، وزاد هذا فى استياء المواطنين المغاربة حيث أن هذه التدابير المؤلمة جعلت المواطنين يشنون اضرابا عاما فى مدينة الربـــاط ويتجمهرون فى مسجدها الكبير مما جعل قوات البوليس والجيش تقوم بمحاصرة المسجد واخراج المعتصمين منه بالقوة ، كما زاد فى انتشار المظاهرات فى باقى المدن الاخرى وخصوصا فى قبائل الجنوب والشرق والاطلس المتوسط وبنى ملال ، وكانت هذه الحوادث تمهيدا للمرحلة المهمة التى تريد السلطات الاستعمارية تحقيقها وهى عزل الملك عن عرشه ولهذا فمجرد وقوع هذه الاضطرابات والفتن قابل المقيم العام الجنرال (جيوم) جلالة الملك وطلب منه أن يصـــدر بلاغا يتبرا فيه من حزب الاستقلال ثم أخذ يهيىء الجو المناسب لابعاده عن العرش ، فطهر الادارة من الذين يأبون السير فى ركاب السياسة الاستعمارية ، وجمع حول (الجلاوى) قائد ناحية مراكش والمساعد الاول للاستعمار جمع حوله عددا كبيرا من الخونة والانصار ، ثم عمل على احيـــاء الشعوذة بعقده مؤتمرا عاما للطرق الصوفية بالمغـــرب والجزائر وتونس كان مقر انعقاده بفاس تحت رئاسة شيخ

الخونة والمارقين عبد الحى الكتانى ، وكان القصد منه ايهام الراى العام فى الخارج بوجود هيئة دينية تقاوم السلطان وتقاوم الحركة الوطنية ، وكانت هذه هى الخطوة الاخيرة التى أعقبتها خطوة تنصيب محمد بن عرفة يوم 16 غشت 1953 اماما للمسلمين فى المغرب بايعاز من السلطـــات الاستعمارية التى زعمت انها تريـــد الفصل بين السلطة الدنوية للملك والسلطة الدينية ، مما دفع بالشعب المغربى الى القيام بثورات عظيمة فى سائر أنحاء البلاد أعقبها تدخل الجيوش الفرنسية وقتل الابرياء من المواطنين ، وهنا تدخلت الحكومة الفرنسية حيث استدعت مقيمها العام بالمغرب لتدرس معه الحالة الراهنة فى المغرب ، وانعقد مجلس للوزراء الفرنسى حضره رئيس الجمهورية بنفسه وانتهى الى تقرير اقصاء الملك عن عرشه نهائيا ، وعاد الجنرال (جيوم) الى الرباط يحمل معه هذه التعليمات وتوجه يوم الخميس 20 غشت 1953 الى القصر الملكى على الساعة الرابعة والربع مساء حيث قابل جلالة الملك وطلب منـــه أن يتنازل عن العرش ، ولكن جلالته رفض هذا الامر رفضا باتـــا ، فبلغه الجنرال قرار الحكومة الفرنسية ولم تمض نصف ساعة حتى كان حلالته وولى عهده الامير الحسن والامير عبد الله وبقية الاسرة المالكة على متن طائرة حربية أقلتهم الى منفاهم بكورسيكـــا .

وهكذا نجد أن المؤامرة الاثيمة التى تدخل الاستاذ علال الفاسى لمنع وقوعها مرتين ، والتى حاول تنفيذها الجنرال (جوان) وكان يمنى بالفشل فى كل محاولة . نجدها الان قد نفذت على يد تلميذه الجنرال (جيوم) وبايعاز من الحكومة

الفرنسية ، وعلى مرأى ومسمع من الدول الكبرى والمنظمات العالمية المتمثلة فى جمعية الامم المتحدة وجامعة الدول العربية وهكذا بين الاستعمار الفرنسى عن أهدافه بكل وضوح ودقة هذه الاهداف التى تتلخص فى القضاء على الحركة الوطنية ، وازالة كل العراقيل التى يضعها صاحب الجلالة فى وجه الاقامة العامة كلما أرادت تنفيذ مخططها الاستعمارى ، وكلما حاولت أن تسهر على تجديد الجهاز الاجتماعى للاستعمار بترخيز الخونة والانتفاعيين وعلى رأسهم الملك المستعار محمد بن عرفة ، الذين يصطنعهم الاستعمار لتسميم الجو وتمهيد السبل لتحقيق الاغراض الاستعمارية الكبرى ليتسنى له القضاء على عروبة المغرب وطابعة كدولة اسلامية وتفتيت وحدته ، وتنظيم الاقطاعية القوية فى اجزائه . ثم أعطاء الفرنسيين المقيمين بالمغرب كل الامتيازات التى لم ينالوها من قبل .

وكانت هذه العملية كفيلة بأن تهز كيان المغاربة على جميع المستويات وأن تجعلهم يهبون انفسهم واموالهم فى سبيل تحرير بلدهم وارجاع مليكهم الذى يعتبر الرمز المقدس لوحدة البلاد وتقدمها ، وهذا ما جعلهم يقومون بمظاهرات صاخبة وتجمعات قوية الشىء الذى نتج عنه عدة اصطدامات جابهها الاستعمار بكل أنواع القمع والشدة ، وهذاما يفسر لنا أندفاع البطل الشهيد علال بن عبد الله يوم الجمعة 11 شتنبر 1953 الى وسط الموكب السلطانى المزيف اثناء ذهابه لاداء صلاة الجمعة ومحاولته قتل السلطان محمد بن عرفة ، وما ووجه به من وحشية

وغلظة من طرف حراس السلطان الفرنسيين الذين قتلوه في الحـــال ·

هذا على مستوى الشعب والجماهير اما على مستوى القادة والمسيرين فنجد أنهم قاموا بالخطوات السياسية التى يستوجبها الموقف حيث أن الزعيم علال الفاسى ألقى من مذياع صوت العرب بعد نصف ساعة من نفى جلالة الملك نداء حذر فيه الشعب المغربى من طغيان المستعمر الفرنسى وغطرسته ، وأهاب به الى أخذ الحيطة والتيقظ وتنظيم نفسه لمقاومة المعتدى واخراجه من أراضيه قال فيه : ((**لقد قضى القضاء وبلغت الغطرسة بالفرنسيين الى حـــد أن يبعدوا ملكنا الشرعى عن عرشه ، نعم لقد توجه الجنرال (جيوم) اليوم بعد الظهر الى القصر الملكى بالرباط محفوفا بالجيوش والدبابات الفرنسية وطلب من جلالة السلطان أن يتنازل عن العرش · ولكن جلالته رفض بكل اباء وشمم ، فما كان من ممثل فرنسا الا أن نفذ الجريمة النكراء فأسر الملك وولى عهده الامير مولاى الحسن ، وأخاه الامير مولاى عبد الله ، حيث نقلتهم طيارة حربية الى منفى كورسيكـــا الذى اعتاد الفرنسيون منذ القدم أن يعتقلوا به (القرصان) الذين يختطفهم لصوص البحر الفرنسيون · وكان الجنرال جيوم قد أصدر أمره بفض القبائل التى كانت واردة كالعادة للمعايدة مع الملك ومشاركة جلالته فى حفلات عيد الاضحى المبـــارك ·**

ان القوة الفرنسية قد عملت عملها وذلك ما كنا نتوقعه فى كل وقت ، لان محمدا الخامس أكبر من أن يظل على عرش تظله حماية أجنبية ، ولان أعماله وكفاحه لا يسمحان له

بان يظل على مرأى ومسمع من الجلادين الفرنسيين ، ولقد أقر ممثلوا الجمهورية الفرنسية اليوم نظاما يرتكز على قوة الحديد والنار حيث أصبح كل مغربى مسجونا فى بيته ، وصدرت الاوائر باطلاق النار على كل من يخرج من منزله ، ومنعت اقامة صلاة العيد وحفلاته ، وهكذا أصبح اليوم الاسلامى الكبير يوم حداد للمومنين فى مراكش ·

لقد انتهكت فرنسا بعملها هذا كل مبادىء الحــق والعدل ، وأثبتت براءتها من كل المواثيق الحرة ، وحتى من الطبيعة الانسانية · ولقد اعتدت على سيادة مراكش ، وعلى عرشها ، وعلى الاسلام والعروبة فيها ، وعلى ما التزمت فرنسا باحترامه من المعاهدات المذيلة بامضائها وشرفها ، وفعلت أكثر من ذلك اذ قهرت كل مراكشى ومراكشية ، بل كل مسلم ومسلمة ، وعربى وعربية على وجه الارض فى شخص محمد الخامس الذى كان يمثل بحق عزة المؤمن وقوة المكافح ، وكرامة العــربى ·

وانني كزعيم حزب الاستقلال وكواحد من علمــاء القرويين الذين لهم وحدهم حق انتخــاب السلاطين أعلن رسميا أن الملك الشرعى لمراكش ، كان وسيظل هو محمد الخامس ، وان ولى عهد المملكة الشريفة هو مولاى الحسن النجل الاكبر لسطان مراكش ، واننا لن نعترف بأى سلطان أو رئيس صورى تنصبه السلطات الفرنسية باسمها أو باسم أذنابها ، أو من ترغمهم بالقوة على ذلك · كما أننا لن نعترف بأى قرار أو تشريع أو تدبير أو اجراء أو معاهدة أو اتفاق تصدره فرنسا أو تستصدر من هذه الصور أو الهيئــات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية · ونؤكد أن نظام

المغرب هو النظام الذى سنقره نحن باتفاق مع شعبنا ومع مليكنا محمد الخامس يوم يتم استقلال مراكش وجلاء الجيوش الفرنسية عنها . وأننى أهيب بالشعب المراكشى أن يواصل كفاحه من أجل الغاية الوحيدة التى هى استقلال البلاد ، وأن يبذل معنا كل ما يستطيعه من الوسائل للذب عن كرامة مليكنا الشرعى واعادته الى عرشه عالى الرأس موفــور الكرامة . اننى أهيب بالعالم الاسلامى كله أن يذكر مراكش فى محنتها وأن يؤيد حركتها ويبذل لها وسائل العون ، فان مراكش وملك مراكش لم يعملوا الا للذب عن الاسلام واللغة العربية ، ولم يصابوا الا حين غضبت فرنسا من أجل تعلقهم بدينهم الاسلامى وقومهم العــرب . واننى أؤكد لجميــع المراكشيين والمسلمين وللعالم الحر ، أننا لن نتقهقر عن موقفنا ، أو نحيد عن خطتنا ، الى أن نحقق آمال الامة فى الحرية والاستقلال ، وطرد الغاصبين . وما دام الله معنا فالنصر لنــا » (1) .

كان هذا النداء ايدانا بدخول المغرب والحركة الوطنية فى حرب ضد الاستعمار الفرنسى كانت المرحلة الاولى منها تأسيس الخلايا الفدائية فى شتنبر 1953 التى كانت مهمتها الاولى والاخيرة هى القضاء على أذناب الاستعمار من مغاربة وغيرهم ، وكذلك القضاء على ممثلى الاستعمار فى المغرب وعلى راسهم المقيم العام الذى امتدت يده الاثيمة الى العرش وانزلت به تلك الضربة الفادحة ، وكذلك الملك المزيف محمد

---

(1) نداء القاهرة ـــ للاستاذ علال الفاسى ـــ ص : 3 ـــ 4

بن عرفة والامثلة على استشهاد هؤلاء الفدائيين الابطال كثيرة ، واعظمها استشهاد البطــل علال بن عبد الله عند محاولته اغتيال ابن عرفة كما أشرنا اليه من قبل ·

أما المرحلة الثانية فهى تأسيس جيش التحرير المغربى الذى كان للاستاذ علال الفاسى فضل تأسيسه ، والسهر على توجيهه ، وامداده بالمعونات المادية والمعنوية · هاتان المنظمتان اللتان قامتا بالادوار المنوطة اليهما فى مجــال التحرير بنجاح كبير محصلتين على كثير من الانتصـــارات وكان فى امكانهما الحصول على نجاحات وانتصارات أكثر فعالية واجابية لولا اصطدامهما بمفاوضات (ايكس ليبان) التى جاهر الاستاذ علال بمعارضتها وحرص على رفضها لتناقضها مع التخطيط الحقيقى للتحرير ، حيث أرادت فرنسا أن ترمى من ورائها اعطاء المغرب نوعا من الاستقلال فى دائرة (التكافل) وتبعا للسياسة العامة لفرنسا ، الامر الذى جعل الوزير الفرنسى المكلف بالشؤون المغربية يصرح أمام الجمعية الوطنية الفرنسية بامتناع دخول فرنسا فى مفاوضات مع حزب الاستقلال والهيئة الوطنية الا اذا تبرا من زعيمه علال الفاسى ، الا أن حزب الاستقلال أعلن رسميا على لسان المناضل الاستاذ محمد اليزيدى عضو اللجنة التنفيذية للحزب عن رفضه للمقترح الفرنسى مؤكدا تشبثه وتضامنه مع رئيسه وزعيمه الاستاذ علال الفاسى ·

وكتنفيذ لفكرة التعاون بين أقطار المغرب العربى لصد الاستعمار ، فقد أشعل الاستاذ علال نار الثورة فى الجزائر ضد المستعمر حيث اسس مع ابن بلة وبوضياف وعبد الكبير الفاسى جيش التحرير الجزائرى وأمده بكل عون ممكن حيث

فتح جبهة جديدة للمقاومة فى وجه الاستعمار الفرنسى ، وقد وقع توحيد هذه المنظمة الجزائرية مع منظمة جيش التحرير المغربى فى 3 أكتوبر 1955 ، واصبحتا تعرفان بجيش تحرير المغرب العربى الذى اخذ ينسق عملياته بين القطرين كما أخذ يعمل على تسهيل ظروف التعاون والمساعدة فى القطرين الشقيقين ·

وبالمقابل فقد برزت للوجود فى المغرب حركة انشاء نقابات العمال وابرازها للوجود وتنظيمها والتى استطاع حزب الاستقلال على الرغم من كون القوانين الاستعمارية فى المغرب كانت تمنع انشاء منظمات نقابية أو الدعوة اليها ، استطاع الحزب الاحتيال على هذه القوانين بالانضمام الى المنظمات الاحترافية التى يتمتع بها الفرنسيون المقيمون بالمغرب ، ثم كون الاطار الضرورى حيث أصبحت أغلبية هذه النقابات من العمال المغاربة وأصبح مسيروها وطنيين مغاربة · وقد رفعت هذه النقابات راية الكفاح منذ تأسيسها فى سبيل تحرير الطبقة الكادحة فى المغرب وتوفير العيش الرغيد لها ، كما كانت تمثل الساعد الايمن للحركة الوطنية بما كانت تسهر عليه من تنظيم الاضرابات ورفع الاحتجاجات وهكذا فان الحركة النقابية شاركت بدورها فى توحيد الصفوف وتنظيم الامة لخدمة مثلها الاعلى فى الداخل واستمالة الاحرار والعاطفين على القضية المغربية فى الخارج ، كما برهنت على ان الحركة الاستقلالية المغربية ليست حركة فئة صغيرة من المثقفين والطلبة والاعيان ، كما كانت الحماية تزعم ، وانما هى كرحة أمة بأجمعها تنشد الحرية وتريد البقاء ·

وهكذا أصبحت البلاد فى ظل حكم ابن عرفه تعيش فترة من أحلك فتراتها فقد زادت حركة العنف التى كانت تقوم بها المقاومة وأصبحت أكثر فعالية من السابق ، كما أن الفرنسيين بدورهم أصبحوا أكثر يأسا من الدفاع عن موقفهم حيث أصبحت البلاد ترزح تحت نير حكم عسكرى وبوليسى، ولم يأت مطلع سنة 1954 حتى كان المغرب كله أشبه ما يكون بمجموعة من معسكرات السجون ، لان الجيش الفرنسى قطع جميع وسائل التنقل والمواصلات بين القبائل والمدن ، ولان البوليس أحكم اغلاق الاحياء الكبرى فى المدن ، ونالت القوات الفرنسية تعزيزات كبيرة واتخذت أحتياطات خاصة لمنع أعضاء المقاومة من التغلغل بين قوى حفظ النظام الفرنسية ، وهكذا أصبح حزب الاستقلال عبارة عن فكرة تسيرها أنظمة مختلفة صغيرة ، منها الجهاز السرى الذي كونه المقاومون الاستقلاليون والذى أصبح يعمل تحت التوجيه العام للمجلس الوطنى للمقاومة التى كانت رئاسة زعيم الحزب له خير رباط متين مستمر بين العمل الحزبى المحض وبين العمل الفدائى ، ومنها اللجنة التنفيذية المؤقتة التى كانت تعمل على ابتكار حركات سياسية جديدة مختلفة ومتنوعة زيادة على بعض الانظمة التى قامت نفسها من فئات حزبية لم تستطع الاتصال بالجهاز السرى أو لم تقو على هذا الاتصال .

ولما تكونت حكومة (منديس فرانس) أنشئت وزارة جديدة سميت وزارة شؤون المغرب وتونس ، وأعفى المقيم العام الجنرال (جيوم) وعوض بشخصية دبلوماسية مهمة هو السيد (لاكوست) ولكن اقتراحات هذا المقيم الجديد

رفضت كلها من طرف الوطنيين كما رفضت سابقاتها ، وكان من جملة الاقتراحات تعيين فرد جديد من الاسرة الملكية على عرش المغرب وتنحية كل من محمد الخامس وابن عرفة بحيث يكون هذا الفرد مقبولا من طرف الوطنيين والفرنسيين ، ولكن هذا الاقتراح رفض لتشبث الوطنيين المغاربـــة والشعب المغربى بمحمد الخامس لما بذله من تضحيات ولكونه الرمز الاعلى لوحدة البلاد وكان أهم عمل قام به المقيم العـــام (لاكوست) هو اطلاق سراح زعماء حزب الاستقلال والوطنيين بعد أن كانوا قد اعتقلوا بأمر من الجنرال (جيوم) وكذلك رفع الحجز الذى كان مفروضا على نشاط حزب الاستقلال ، وقد كانت هذه اللبنة بمثابة اعتراف ضمنى بضرورة ايجاد نوع من التسوية للمشكلة المغربية ، ولكن تصاعد حركات الارهاب الفرنسية المضادة حالت دون ذلك مما استدعى الحكومة الفرنسية الى تعيين مقيم جديد هو السيد (ج جرندفال) فى يوليوز 1955 الذى كان أول عمل قام به هو طرد رئيس حركة الوجود الفرنسى الذى كان يسير دفة الارهاب فى المغرب ، كما حاول أن يضع البوليس تحت رقابته ، ثم شرع فى محادثات مع الوطنيين من أجل قبول حكم مغربى جديد يرتضيه الملك المنفى ٠

وهكذا نجد أن السياسة الفرنسية فى المغرب تعرضت لتغيير شامل منذ منتصف سنة 1955 نتيجة لتصاعد عمليات الارهاب التى كان يقوم بها المغاربة والفرنسيون وخطورتها مما دعا الى تشكيل لجنة تنسيق لتساعد على اقامة جو ولو بسيط من النظام فى البلاد حتى يمكن بدأ المفاوضات ٠ ولكن قوى داخل الحكومة الفرنسية كانت تعمل على تعطيل هذه

المفاوضات وعلى تأخير رجوع محمد الخامس من منفاه ، زيادة على معارضة ابن عرفة لكل حل وعدم قبوله التنازل عن العرش مما حدا بالمقيم العام (جراندفال) الى التخلى عن منصبه حيث عوض بمقيم جديد هو السيد (بوييه دولاتور) ولكن صمود الوطنيين فى الداخل وفى الخارج والمكانة الحربية التى بلغها جيش التحرير والعمليات المحكمة التى اخذ يمثلها داخل المغرب جعلت الحكومة الفرنسية تقرر اعلان استقلال المغرب وعودة جلالة الملك من منفاه فى نونبر 1955

وعاد جلالة الملك الى فرنسا فى آخر اكتوبر 1955 ليبدأ المحادثات الاولى مع السلطات الفرنسية ، وفى يوم 14 نونبر 1955 وصل الى المغرب واستقبل بحفاوة منقطعة النظير كادت تتحول الى فوضى وبعدها بقليل بدات الاستشارات لتأليف الحكومة الاولى برئاسة السيد البكاى والتى عملت منذ دجنبر 1955 علىآ توقيع الاتفاقيات القضائية والدبلوماسية والثقافية بين المغرب وفرنسا وضمان استقلال المغرب ووحدة ترابه .

اما الاستاذ علال الفاسى فانه لم يعد الى أرض الوطن الا فى غشت 1957 حيث قام بتمثيل المغرب فى مؤتمر (باندونغ) التاريخى ، وعند عودته استقبل بابتهاج وتعظيم جديرين بمقام الزعيم البطل الذى وهب نفسه وكيانه فى سبيل استقلال وطنه والدفاع عن حوزة ترابه ، وقد أهداه ولى العهد الامير الحسن هدية ثمينة عبارة عن نسخة أصلية من وثيقة الاعتراف بالاستقلال ، ولم تكن عودته الى المغرب نهاية لدوره فى الكفاح بل تابع كفاحه من أجل تحرير بقية المناطق المغربية التى لا زالت فى يد المستعمر الاجنبى كسبتة

ومليلية والصحراء المسماة بالاسبانية وأسس لهذا الغرض مجلة « صحراء المغرب » باللغة العربية للدفاع عن حدود المغرب الطبيعية والتاريخة ، وكذلك أسس مجلة « الافاق الصحراوية » باللغة الفرنسية لنفس الغاية ٠

وبعد ، ماذا نقول عن هذه المرحلة الخصبة من مقامه فى المشرق وعن المنهج الفكرى التى اتخذه فى دعوته هناك ٠ ان السيد علال الفاسى وهو الزعيم الوطنى السياسى لم ينس نفسه كرائد اسلامي لحركة السلفية ، فقد كان يربط بين هاتين الصنفتين ربطا محكما ولا تزال محاضراته وكتبه ناطقة بهذا المعنى الذى يتجلى منه أن حركة السلفية فى المغرب اختلفت عنها فى المشرق من حيث المنهج ٠ وقد كان الاستاذ علال يتناول ذلك من واقع المغرب التاريخى والمرحلى وقد يتعجب البعض اذا عرف بأن فكرة مؤتمر اسلامى يشمل ممثلى المسلمين من المغرب الى الصين كانت من جملة ما نادى به وهو فى القاهرة بعد القائه لمحاضرة بجامعة (الازهر) عن الحركة السلفية فى المغرب ، وقد كان الغرض من هذا المؤتمر فى نظره هو وضع الاسس النافعة لثقافة اسلامية جديدة تتحد حولها مواد الدراسة ومناهجها فى المعاهد والجامعات الدينية المنبثقة فى أنحاء العالم الاسلامى تساندها تربية متينة على أسس السلفية وتوجيه قوى لخدمة غاياتها٠ ولا جدال فى أن الاستاذ علال قد اكتسب بواسطة هذه المشاركة الرائدة فى حركة السلفية اكتسب زعماءها فى الشرق الى صف القضية الوطنية فى المغرب كما اكتسب اصوات السياسيين بالمنطق السياسى ٠ وحينما زار الاستاذ علال دمشق لاول مرة وحاضر فى أكبر ناد بها هو النادى

العربى برز كمفكر عربى يتطلع الى هذا المستقبـــل الذى تعيش فيه الان والى المستقبل الذى لا زلنا نتطلع اليه والذى يتمثل فى الوحدة العربية على أسس من الواقعية الثورية وقد الح فى محاضراته كلها على ترسيخ الاعتقاد بعروبة المغرب علميا منذ العصور القديمة والى عهد الاسلام ، وقد ردد مرارا هذه القولة :

« أن الامة العربية ولدت يوم ولدت كاملة الاجزاء مرتبطة الجوانب لا هى بالمشرقية ولا هى بالمغربية وانما هى متكونة من كل هذه البلدان التى لم تزل الاجيال تتوالى عليها فتقربها لبعضها وتوطىء أكنافها لتتلقى نعمة الاخاء التى سادت الرسالة العربية ، ومن الخيانة لهذه الامة أن تجزء الى أقاليم أو تقسم الى شعوب مهما كانت الاوضاع ومهما تقلبت الطباع ، انما هناك آسيا العربية وافريقيا العربية . وكلاهما وطن واحد تعيش فيه أمة واحدة ... (1)

وهكذا فى غير المحاضرات واللقاءات الكبرى ، كان الاستاذ علال فى اتصالاته الخاصة مع الساسة والعلماء والمفكرين يمثل رجل السياسة والفكر ، فكان عمله فى المشرق العربى متسما بطابع العمق على خلاف السياسيين الذين يعتمدون فقط على اقتناص الفرص بالتكنيك السياسى .

---

(1) كتاب : عشرون سنة بعد عودة زعيم المغرب من المنفى ص : 164 .

الباب الثالث

اهم الافكار و الاصلاحات التي نادى بها

لقد كان الاستاذ علال فى فترات كفاحه ضد المستعمر لا يهتم بالناحية السياسية فقط ولا يهتم بالحصول على الاستقلال فقط ، بل كان ينظر الى ما بعد الاستقلال ، كان يهدف الى تكوين الشباب المغربى وتوجيهه حتى يصبح قادرا على تحمل اعباء هذا الاستقلال وحتى يسهر على السير بالبلاد نحو التقدم والرقى لكى تصبح فى مصاف الدول الكبرى ، وكان ينطلق فى توجيهاته هاته من مبدأين رئيسيين همـــا :

1 ــ المبدأ الدينى او السلفية وهو ما تعرضنا له من قبل بحيث يعتبر ان كل تقدم للبـــلاد لا يمكن ان يتم الا بالرجوع الى تعاليم الدين الاسلامى الحنيف واعتبارها المنهج الرئيسى لجميع الخطوات ، وابعاد كل الشوائب التى خالطتها ، فهو لهذا يدعو الى تكوين جيل دعامتـــه الاساسية التربية الدينية الصحيحة ، كما انه يعتبر الوحدة الاسلامية شىء أساسى فى مواجهة المستعمرين الصليبيين خصوم الاسلام والمسلمين ويظهر ذلك فى الحاحه على عقد مؤتمر اسلامى يضم كل الاقطـــار الاسلامية على وجـــه البسيطـــة .

2 ــ مبدأ الحرية وللاستاذ علال فى هذا الميـــدان تحليلات ضافية تكونت لديه من خلال جهاده الطويل وتفكيره المستمر المتصل والتى تتلخص فى : « ان الحرية ليست هى الحرية الجزئية ، ولكنها تلك الحرية المطلقة ، تلك الحرية الحرة ، تلك الحرية التى لا قيود لها والتى ليست حرة فى ان تكون أو لا تكون ، ولكنها واجبة أن تكون لان وجودها من نفسها ، الا انها لا تستطيع الا أن تكون

كاملة ، فلو فرضنا أن الحرية قدرت هى نفسها على الا تكون أو أن تكون ناقصة لكان ذلك باختيارها ، وحينئذ فلن تكون ألا الحرية . أن هذه الحرية المطلقة الكاملة هى الدرجة العليا فى الحرية .هى حرية الله سبحانه وتعالى. هذه الحرية الخلاقة هى الحرية المبدعة التى أنشأت العالم والتى قالت لهذا الكون كن فكان . انها نقطة البداية ، ولن تكون لها نهاية ، لان نهاية الحرية فناء كل شىء . ان هذه الحرية هى التى يتخلق بها الانسان ، الانسان الذى خلق على صورة الله ، والانسان فى مجهوده البشرى وفى مجهوده الروحانى يسعى دائما لان يتخلق بخلق الله ، أى لان يكون حرا ولا يمكن أن تقيد حرية الانسان هذه » (1) .

هذا هو المبدأ الذى ينطلق منه الاستاذ علال الفاسى للتفكير فى الحرية ، ولذلك فالحرية عنده ليست وسيلة يمكن أن يلجأ الى غيرها من الوسائل اذا كانت تؤدى الى الغاية ، ولكنها حتمية من حتميات الانسان وهى للعالم كالهواء للانسان ، يندفع العالم دون أن تندثر هى ، كما يموت الانسان اذا حبس عنه الهواء . ومن هنا كان كفاح الاستاذ علال يمتاز بالتشبث بالحرية ، حرية الانسان فى جسده وفى تفكيره وفى عيشه وفى عمله ، وفى تصرفاته ؛ فلهذا كانت الحرية وما زالت هى المنار الذى يهتدى به فى

---

(1) كتاب الحرية ـــ للاستاذ علال الفاسى . ص : 2 .

طريق كفاحـــه ، وما تشبثه بالديمقراطيـــة وتضحيته فى سبيلها سوى ايمان صادر عن الحرية .

هكذا نجد تداخلا بين هذين المبدأين او رجوع المبدأ الثانى المتمثل فى الحرية الى المبدأ الاول الذى هو الدين ، بحيث يعتبر أن كل حرية مطلقة هى فى أصلها من حرية الله وما وهبه للامة الاسلامية من تعـــاليم .

هذان هما المنطلقان اللذان ينطلق منهما الاستاذ علال لتحليل الاوضاع ولتكوين النظريات رائده فى ذلك العمل على خدمة مصالح بلاده ومصالح الامة الاسلامية والعربية وأعظم خطوة فى هذا الميدان هو دعوته الى توحيد دول المغرب العربى وما ساهم به من خطوات فى سبيل هذا التـــوحيـــد حين أشرف على تأسيس مكتب لاحـــزاب المغـــرب العـــربى فى باريس ، ثم على تأسيس مكتب المغرب العربى فى القاهرة ، وبعده لجنة تحرير المغرب العربى ، ثم دعوته لمؤتمر أحزاب المغرب العربى الذى انعقد فى طنجة عقب حصول المغرب على استقلاله ، ثم تأسيس جيش تحرير المغرب العربى الذى كان ينسق عملياته بين المغرب والجزائر ، بحيث انه كان يعتبر أن مواجهة الاستعمار تكون ذات فعالية أكثر بواسطة التكتل وبواسطة توحيد قوى هاته الدول . هذا فى اطار المغرب العربى ، أما فى اطار العالم العربى أجمع فلا ننسى الجهود التى بذلها لدى الجامعة العربية فى سبيل القضية المغربية وتأكيد عروبة هذا البلد وتشبثه بجميع الدول العربيـــة وجولاته الكثيرة فى ربوع الوطن العربى من أجل توحيد الصفوف ولم شتـــاتها .

أما فى الميدان التعليمى فنجد أن الاستاذ علال منذ الفترة الاولى من كفاحه كان يلح على ضرورة تعليم جميع افراد الشعب المغربى وتثقيفهم حتى يصبحوا أهلا لتحمل المسؤوليات التى تلقى على عاتقهم ، ولم يأل فى ذلـــك جهدا فقام بفتح المدارس الابتدائية والثانوية وسهر على تسييرها بجانب رفقائه فى الكفاح كما سهر على ارسال بعثات دراسية الى المشرق العربى لتنهل من مناهل العلم والعرفان حيث كان يعتبر أن السلاح الوحيد لمقـــاومة الاستعمار وللسير فى مدارج الرقى هو العلم ·

أما فى الميدان الاجتماعى فقد نادى بتعليم المـــرأة وتحررها من ربقة التقاليد الميتة ، لانها المساعد الايمن للرجل ولكونها المدرسة الاولى التى ينشأ فيها الاطفال فلابد أن تكون هذه المدرسة صالحة حتى يكون الابنـــاء صالحين · كما دعا الى تنظيم الاسرة المغربية ومساعدتها فى التوجيه وغيرها من المشاكل الاجتماعية ، ولعل أكبر مرجع فى هذا الباب هو الكتاب الذى ألفه الاستاذ علال فى مدينة طنجة أثناء مقامه بها وهو كتاب « النقد الذاتى » الذى تعرض فيه لذكر جميع الامراض الاجتماعية التى أصابت الشعب المغربى وفصلها تفصيلا علميا واقتـــرح الحلول لكل واحد منها ، بحيث يعتبر هذا الكتاب الذى ترجم الى جميع اللغات الحية فى العالم نمـــوذجا للتفكير البنائى ، لانه دراسة فلسفية اجتماعية واقعية بدأها من « الانا » ممثلة فى الانسانية ليسير مع تطور الفكر الانسانى فى المجتمع الى الشمول ، الى الحرية ، الى العموم ، وتطور فى البحث يجعل من الفكرة وحدة يجب أن تعالج فى

مظاهرها ، فهو تحليل للفكر الدينى والفكر الاسلامى والفكر الوطنى والفكر المغربى والفكر الادارى والفكر السياسى والفكر الحزبى والفكر القضائى والفكر الاقتصادى لحل مشكلة الانسان الاقتصادية ، وهو بعد هذا وذلك تحليل للفكر الاجتماعى متخذا من المجتمع المغربى مثالا لتجربة الحلول التى يقترحها مؤلفه ، فهو لهذا استحق أن يكون أكبر عمل من نوعه قام به فرد أو جماعة فى البلاد التى تفكر فى مشاكلها الاساسية الحية ، وهو اعظم كتاب الف فى العربية من مئات السنين ولا يزال هدفا لم تصل اليه الحلول التى اتخذت لمشاكل العالم الثالث ، لانه يكاد يكون تخطيطا واعيا متكاملا لكل المجتمع ، انه لا يترك الجزئيات حين يعرض للجوهر ، ومعانيه لامعة تقدمية صالحة لكل القوى التقدمية المتحررة ان ترفعها شعارات لها ، لانه استطاع أن يتحرر من وجهة النظر التى ترصد وضعا معينا أو حالة معينة فى اطار مكان وزمان معينين . والكتاب بعد هذا خلاصة لدراسة نظرية عميقة وتجربة عملية عريقة عاشها المؤلف بنفسه وكتبها لقومه لتكون شمعة على درب الحياة الطويل ، وهو من الكتب القليلة التى يلمس القارىء فيها سعة الاطلاع وتمكن الكاتب من المادة التى يتحدث عنها .

وللاستاذ علال الفاسى ايضا آثار أخرى منها ما يضم محاضراته ككتاب « حديث المشرق فى المغرب » ومنها ما يضم أحاديثه الاذاعية التى كان يلقيها من مذياع صوت العرب بالقاهرة ككتاب « نداء القاهرة » ومنها ما ألفه ككتاب « الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى » الذى

ألفه فى القاهرة بتكليف من المجلس الوطنى الاعلى لحزب الاستقلال ، وكتاب « حفريات عن الدستور » وكتاب « الحرية » ومنها ما سجل فيه خطبه المذهبية التى كان يلقيها فى المؤتمرات العامة للحزب ككتاب « عقيدة وجهاد » وكتاب « معركة اليوم والغد » ، وغيرها حيث أنه قدم للمكتبة العربية مجموعة ممتازة من الكتب العربية التى يجد فيها القارىء الجهد ويستشعر الفائدة الفكرية التى تغذيه بجوانب مختلفة من المعرفة .

وهو الى جانب هذا شاعر ممتاز له قصائد كثيرة يغلب عليها الطابع الوطنى ، وهى عبارة عن سجل يواكب التطور التاريخى والسياسى للحركة الوطنية والقضية المغربية الى عهد الاستقلال ، ثم يأخذ فى معالجة المشاكل التى نتجت بعد مرحلة الاستقلال مثل قصيدة « الارض حبيبتى » وقصيدة « القدس » وغيرها من القصائد الكثيرة المنتشرة على أعمدة الصحف والمجلات . والتى لا زالت لم تجمع أو تنشر فى ديوان خاص .

خاتمة

وهانحن قد بلغنا نهاية المطاف ، فماذا نقول عن هذه الشخصية العظيمة التى خلدت ذكرها على أفواه جميع المغاربة صغارا وكبارا . لا نكون مبالغين اذا قلنا أن تاريخ هذه البلاد ارتبط الى الابد بتاريخ الاستاذ علال الفاسى لانه ولد على موعد مع المجد والتاريخ والاستقلال ومستقبل المغرب وعلى موعد مع التفكير والشعر والعمل الدائب المتواصل من اجل رفع شأن المغرب والشعب المغربى وتحريره من ربقة الاستعمار الآثم ، وتحمل الشدائد والمحن دون تردد أو كلل أو ملل . ولد مع هذه الامجاد لانه التقى بها منذ نعومة أظفاره ، فقد أصبح علال الفاسى زعيما قبل أن يبلغ سن الحلم ، ولا يرجع الفضل فى تكوين شخصيته الا له وحده ، وللحالة التى كان يعيش فيها مجتمعه آنذاك . وعلال الفاسى أشهر من ان يعرف به ليس فى المغرب ولا فى العالم العربى ولا فى العالم الاسلامى ، بل فى العالم اجمع ، وأول شعور يخالج الانسان وهو يذكر هذا الاسم هو الاعجاب بصاحبه وبكفاحه وبآرائه وتعمقه فى التفكير ونزاهته واخلاصه فى سبيل بلاده ، فهو مفكر صنديد ومناقش عنيد يتوقد تفكيره ويلمع ويتوهج مع اشتداد الازمات والشدائد وهو الى جانب هذا خير من يمثل الفكر المغربى والعبقرية المغربية والثقافة المغربية الاسلامية والشعبية المغربية . فهو بحق رائد عبقرى والعبقرية المغربية خلقته رائدا

مغربيا ، ولا بأس أن ننهى حديثنا عن الاستاذ علال ببعض ما قاله عنه مفكرون وصحفيون أجانب بهروا بشخصية علال وبأعماله العظيمة .

يقول عنه الاستاذ جاك بيرك فى مقدمته لكتاب (علال الفاسى أو تاريخ الاستقلال) لاتيليو كاوديو : « ان علال الفاسى لا يدافع فقط عن الشخصية المغربية ، ولكنه يدافع عن الهوية الاسلامية وهو يعتقد أن الاسلام وحده هو القادر على أن يحمى بلاده من سلاح أوربا ذى الحدين والقاتل فى كل حالة : الكهنوتية أو الالحادية ، الدين أو الثورة ، الروحانية أو المادية ... الخ . وهكذا يسير فى اتجاه استمرار التقاليد الاصلاحية المستمدة من الاصول مع الاحتفاظ بمميزاته الخاصة . وهو اليوم وبدون شك من أحسن ممثلى هذه التقاليد » . (1)

ويقول أيضا « علال الفاسى هو الآن وبدون منازع الشخصية النموذجية التى تمتلك كل الخصائص التى تتطلبها حركة الانبعاث الاصلاحى العربى الاسلامى ليس فى المغرب فحسب بل فى المغرب العربى وافريقيا ان لم اقل فى العالم الاسلامى . فعلال الفاسى يجمع بين شخصيات الزعيم السياسى والمصلح الدينى والاجتماعى الذى يعرف دوره ويعى واقع مجتمعه وبلاده ويتوفر على المعرفة والنضج والتجارب اللازمة لقيادة الشعوب وبعث حضارتها وكيانها وبناء مستقبلها » (2) .

---

(1) مقدمة «جاك بيرك» ص : 8

(2) نفس المصدر ، ص : 8 .

ويقول عنه اتيليو كاوديو الصحفى المتخصص فى الدراسات المغربية والذى الف كتابا عنه أسماه : (علال الفاسى او تاريخ الاستقلال) : « علال الفاسى من القادة الذين يدعون الى التمسك بالقيم الروحية والثقافية ، ويجتهدون لايجاد بنيان يحافظ على المكاسب الحضارية الانسانية مع قبول الجوانب الايجابية من التقدم الحالى » (1) ·

هذه الاقوال تظهر مدى شخصية الاستاذ علال الفاسى ومدى ما وصلته فى الميدان السياسى والاصلاحى والدينى ، وليس بعزيز أن يكون المغرب وطنا لشخصية مثل شخصية الاستاذ علال خصوصا اذا راجعنا تاريخ هذا البلد فى العصور الغابرة وما وصله من نهضة وعز وكرامة جعلت الدول الكبرى تطأطأ راسها اجلالا واكراما لهذا البلد الطيب ·

---

(1) ملحق العلم الاسبوعى العدد : 26 ـ السنة الاولى · 1969

أهـــم المصـــادر والمراجـــع

المراجـــع العربيـــة

1 ـ الكتب :

ـ عشرون سنة بعد عودة زعيم المغرب من المنفى ـ فرع حزب الاستقلال بفاس ـ 1966 ـ مطبعة الرسالة ـ الربـــاط ٠

ـ التطورات السياسية فى المملكة المغربية ـ دوجلاس آى اشفورد ـ ترجمة الدكتورة عائدة سليمان عارف والكتور أحمد مصطفى أبـــو حاكمـــة ـ طبعة دار الكتـــاب 1964 ٠

ـ عقيدة وجهاد ـ علال الفاسى ـ الطبعة الاولى ـ 1956 المطبعة العالمية ـ القاهرة ٠

ـ الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى ـ علال الفاسى ـ الطبعة الثانية دار الطباعة المغربية ـ تطوان ٠

ـ النقد الذاتى ـ علال الفاسى ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة كريماديس ـ تطوان ٠

ـ نداء القاهرة ـ علال الفاسى ـ الطبعة الاولى 1959 ـ المطبعة الاقتصادية ـ الرباط ٠

ـ الحرية ـ علال الفاسى ـ المطبعة الاقتصادية ـ الربـــاط ٠

— منهج الاستقلالية — علال الفاسى — مطبعة الرسالة — الربــاط ·
— معركة اليوم والغد — علال الفاسى — مطبعة الرسالة — الربــاط ·
— حديث المغرب فى المشرق — علال الفاسى — الطبعة الاولى 1956 المطبعة العالمية — القاهرة ·

2 — الجـرائـد :

— جريدة فاس العدد : 15 يونيه 1971 ·
— ملحق العلم الاسبوعى العدد20 السنة الاولى يونيه 1969 ·
— ملحق العلم الاسبوعى العدد 100 السنة الثالثــة بيراير 1971 ·
— ملحق العلم الاسبوعى العدد 131 السنة الثالثــة دجنبر 1971 ·
— ملحق العلم الاسبوعى العدد 26 السنة الاولى غشت 1969 ·
— جريدة العلم العدد 6·396 السنة 22 نونبر 1967 ·
— جريدة العلم العدد 6·807 السنة 23 يناير 1969 ·

المراجـــع الاجنبيـــة :

ALLAL EL FASSI ou L'HISTOIRE DE L'ISTIQLAL
P. Attiaio Gaudio - Edition Alain Moreau

فهـرس السنـوات

السنــة	الاحــــداث
1904	وفاة أبى المحاسن أحد أجداد الاستاذ علال الفاسى
1910	مولد الاستاذ علال الفاسى
1912	فرض الحماية على المغرب ـ ظهور الارهاصات الاولى للحركة الوطنية
1913	صدور ظهير احترام التقاليد البربرية
1914	بداية الحرب العالمية الاولى
1925	نهاية الثورة الريفية ـ نشوء أول جمعية وطنية سريــة .
1926	وقوف الاستاذ علال الفاسى للدفاع عن ماء فاس
1930	حصول الاستاذ علال على اجــازة العالميــة من جامعة القرويين . القاء القبض عليه لاول مرة 16 ماى صدور الظهير البربرى 9 يوليوز مقابلة بين وفد الوطنيين بفاس وبين الكولونيل «سترول» وتقديم عريضة احتجاج له . 2 غشت انعقاد مفاوضات بين الوطنيين والكومندان «ميلى» بفــاس .
1932	تأسيس كتلة العمل الوطنى ـ تأسيس مجلــة (مغرب) بباريس .

1933 غشت سفر الاستاذ علال الى الشمال لتنسيق العمل هنـــاك ·
18 نونبر : أول احتفال بعيد العرش ·
1934 يناير : رجوع الاستاذ علال من باريس بعد فراره من سلطات الحماية الى هناك ·
8 ماى : رحلة جلالة الملك الى مدينة فاس ·
نونبر : تقديم كتلة العمل الوطنى لوثيقة (مطالب الشعب المغربى) ·
1935 تأسيس أول نقابة للعمال بفاس ·
1936 تعيين الجنرال «بيروتون» مقيما عاما بالمغرب ·
محاولة المعمرين الاستيلاء على مصادر المياه بعد ان عم القحط أرض المغرب ·
دعوة كتلة العمل الوطنى الى اطلاق سراح البطل عبد الكريم الخطابى ·
15 أكتوبر : انعقاد مؤتمر كتلـــة العمل الوطنى بالربـــاط ·
17 نونبر : انعقاد مؤتمر كتلـــة العمل الوطنى بالبيضاء ·
1937 دعوة الحزب الوطنى الى اطلاق سراح البطـــل عبد الكريم الخطابى ·
يناير : انعقاد اجتماع للكتلة من أجل انتخـــاب اللجنة التنفيذية ·
18 مارس : صدور أمر بحل الكتلة ·
ابريل : تأسيس الحزب الوطنى للمطالب المغربية
غشت : صدور قرار من الاشغال العامة بتحويل

ماء أبى فكران بناحية مكناس ·

24 شتنبر : زيارة السيد «راماديه» وزير الاشغال العامة الفرنسى لمدينة مراكش ·

13 أكتوبر : انعقاد مؤتمر للحزب الوطنى وتقديم وثيقة (كناش المطالب) ·

25 أكتوبر : نفى الاستاذ علال الى الغابون ·

31 أكتوبر : ندوة صحفية للمقيم العام «نوجيس» بفـــاس ·

8 نونبر : مظاهرات عامة بمدينة مكناس ·

1940 يوليو : احتلال جيوش «دوكول» لقرية (مويلا) وجنوب الغابـــون ·

1941 مكاتبة الاستاذ علال للجنرال «دوكول» ومطالبته بالاستقـــلال ·

1943 8 نونبر : نزول الحلفاء بالمياه المغربية ·

1944 بداية المرحلة العلنية للحركة الوطنية ·

11 يناير : تأسيس حزب الاستقلال ، تقديم وثيقة الاستقـــلال ·

1946 26 ماى : رجوع الاستاذ علال من المنفى ·

1947 25 ماى : وصول الاستاذ علال الى القاهرة ·

9 دجنبر : تأسيس لجنة تحرير المغرب العـــربى بالقاهـــرة ·

1948 5 يناير : الاعلان رسميا عن تأسيس لجنة تحرير المغرب العـــربى ·

10 ماى : انعقاد الجمع العام للجنة تحرير المغرب العـــربى ·

1949 انتقال الاستاذ علال الى مدينة طنجة والاقامة بها .

1950 قيادة الاستاذ علال لمظاهرة افريقية أسيوية بمدينة طنجة .

اكتوبر : سفر جلالة الملك الى فرنسا .

دجنبر : انعقاد مجلس شورى الحكومة المغربية .

1951 غشت : عودة الاستاذ علال الى القاهرة للمرة الثانية .

20 غشت : اعفاء الجنرال «جوان» وتعيين الجنرال «جيوم» .

اكتوبر : حضور الاستاذ علال فى اجتماع اللجنة السياسية بالجامعة العربية .

1952 زيارة الاستاذ علال للدول السكندنافية والاوربية والامريكية .

انعقاد الدورة السابعة لمنظمة الامم المتحدة .

7 دجنبر : شن اضراب عام فى المغرب احتجاجا على اغتيال الزعيم النقابى التونسى فرحات حشاد .

1953 16 غشت : تنصيب السلطان المزيف محمد بن عرفة .

20 غشت : نفى جلالة الملك محمد الخامس الى كورسيكا .

شتنبر : تأسيس الحركة الفدائية .

11 شتنبر : محاولة قتل الشهيد علال بن عبد الله للسلطان بن عرفة .

13 أكتوبر : انشاء جيش تحرير المغرب العربى
1955 يوليوز : تعيين «جراندافال» مقيما عاما بالمغرب ·
14 نوفمبر : رجوع محمد الخامس من منفاه ·
1957 رجوع الاستاذ علال الى المغرب نهائيا ·

كلمـــة الكتـــاب

مطبعة الرسالة
11 شارع علال بن عبد الله
الرباط (المغرب)

1978